انتيكيثيرا

رواية

عمرو صلاح الدين

دار بيوند للنشر والتوزيع
٤ ش كمال حسين متفرع من ومبي الهرم
٠١٠٩٦٩٠٠٠٠٧
Beyond.dbh@gmail.com

جميع حقوق النشر محفوظة. ولا يحق لأي شخص
أو مؤسسه أو جهة إعاده إصدار هذا الكتاب. أو جزء منه .
أو نقله بأي شكل من الأشكال او تدواله الكترونيا نسخا
او تخزينا دون إذن خطي من الدار

الكتاب: انتيكيثيرا

المؤلف: عمرو صلاح الدين

الطبعة: الأولى

تصنيف الكتاب: رواية

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

التدقيق اللغوي: سكون للخدمات الكتب

الإخراج الداخلي: صبرينة غلمي
رقم الإيداع: ٢٠١٨ / ٢١٢٨٥

الترقيم الدولي: ٢-٢٠-٦٦٤٥-٩٧٧-٩٧٨

جميع الأراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها .ولا تعبر بالضرورة عن رأي دار النشر

في الواقع ومع كل ما يحدث تكمن مشكلتي الأساسية في تجنب تحولي إلى مجنون.

(تشارلز بوكوفسكي).

مقدمة الرواية

قد يصادفك الحظ السيئ وتقع إحدى أوراقي الصفراء هذه في يدك وتقرأ ما كتبته فيها من أحداث واجهتني في حياتي الماضية الأولى.

لن أعبأ لرأيك في شخصي أو سكوني وتحركاتي، لم أكن سوى قطعة لحم وعظم طواها القدر في قبو النسيان، مصادفات وأقدار لم أرد العبث بها بل هي من تعبث بي وتعبث بك أيضا رغما عنك، حتى وإن تواريت عنها بعض الوقت لكن دائما لا مهرب ولا مفر.

يوهمونك بتحكمك في اختياراتك وحياتك، إلا أننا في الحقيقة جميعا تمتد خطانا ضمن مسالك وحروب وأحداث لا طائل لنا فيها ولا قبل لنا بها، يزج القدر بنا فيها، بينما غالبا ما يأتي الضرر الأكبر من أقرب الأشخاص لنا منزلة.

فلتتوقف عن رؤية الجميع بأجنحة هم ليسوا ملائكة وأنت لست في الرابعة من عمرك لتري الكون بهذه الوردية.

لا تسخر من حديثي فالعالم من حولك دائما كعواصف مارس فعلى الرغم من هدوئه المصطنع إلا أنه محمل بزوابع الرياح التي تثير الغبار والخلافات والمشاحنات بين الحين والآخر فتتصعد لأعلى في أشكال حلزونية متصاعدة.

ليتنا نعود لطبيعتنا ونمتزج بالطبيعة الصافية، لقد أقحمنا أنفسنا في خزائن مصطنعة وأسدال بالية وأقفال محبطة وحوائط سميكة تمنع عنا ضوء الشمس نسيم البحر حريتنا المنشودة.

تنجذب نفوسنا لكل ما كان مكون من الماء كموج البحر وأجساد النساء، إني لأشفق عليك وعلى كل من يعيش بعيدا عن البحر سر الحياة، إنه وحي وإلهام وبئر أسرار واسعة عميقة.

أذهب إليه مع دفتري، ذلك الدفتر الصغير الذي كان جميلا بشكل ما، إذ كان ورقه ناعما ذا لون أبيض بغلاف أكسبه القدم شيئا من الرقي، أتلفت حولي في كل مكان حتى أطمئن إلى أن أحدا لا يراقبني ثم أكتب فيه حلمي الحقيقي، لا تتعجب، نعم كما قرأت فأنا تنتابني أحلام حقيقية متتابعة سواء من كل الأزمنة عن أي شخص وأي مكان رغما عني، لا أعلم أهي نقمة أم نعمة ما لم أسعَ خلفها، ولم أستطع التخلي عنها رغم محاولاتي بتجاهلها.

عندما أنتهي من كتابتها أتردد كثيرا في الاحتفاظ بها لأقرر أخيرا بعد تفكير طويل أن أقطع هذه الورقة وأضعها في إحدى القوارير الصغيرة وألقيها في الماء مع أمنياتي بالفناء علها تصل في يوم ما إلى أحد أو شبيه لي ليقرأها، عل أحد هذه الوريقات قد وصلت إليك وقرأتها وكنت تعرف عمن تتكلم، أو قد تكون بالمصادفة تتكلم عنك، لا تتعجب فإن القدر كما تعلم له دور في كل شيء.

واعلم أن هذه السطور القادمة هي بعض من رسائلي هذه لكن في مقابلها هناك آلاف الرسائل التي لم تصل إليك.

خرجت من قوقعتي مع أول خيط من ضوء النهار ذاهبا كعادتي لملاقاة صديقي الأزرق اللدود مصطحبا معي دفتر أحلامي، جلست على شاطئه تداعب أمواجه الهائجة قدمي قائلة: لقد انتظرتك كثيرا يا عزيزي.

كنت أنظر للأفق حينما أطلقت إحدى الناقلات الضخمة صافرتها المدوية معلنة وصولها إلى الميناء المجاور وبعد مدة وجيزة هدأ هدير صوت محركاتها المزعج.

وبدأت آليات النقل الاقتراب منها في صفين وارتفعت أصوات العاملين كما لو أن هناك مشاجرة عشوائية وسط جو ربيعي تبحر في سمائه الغيوم البيضاء التي تشبه ثوب عرس أبيض تطل به إحدى أميرات القصص الرومانسية تتمايل به تارة مظهرة أنوثة طاغية وتدور دورات كاملة حول عقبها تتساقط معها قلوب المفتونين كقطرات المطر بين الفينة والأخرى.

تحرك القلم بين يدي يخط في سماء بيضاء رموزا عجز القلم والأوراق التي تحملها عن فهمها.

- مرت أربعة أيام منذ اختفاء الدكتور رافي باسل بعد خروجه مترجلا دون سيارته من باحة المستشفى الخلفية التي يعمل بها في يوم الإثنين الموافق الرابع من شهر مارس العام ٢٠٤١، بحث عنه خلالها الجميع، أسرته وأصدقاؤه ورجال الشرطة دون جدوى حتى إن جدته رنيم اضطرت أن تلجأ لشقيقها الشقي ليمو لأول مرة بعد قطيعة استمرت لسنوات عديدة منذ أن ارتكب جريمة المراهقة الأولى وسرق سيارة أحد جيرانهم، دائما هناك أحد الأفرع المعوجة لكل شجرة، كان ليمو هو الفرع الشقي السعيد في هذه العائلة ذو حياة متقلبة يسعى نحو إثارة المشاكل والوقوع فيها كحجر مغناطيس عصيّ، لقد وجد ضالته في العمل الحر، ثم أصبح أحد أصغر رجال الأعمال في السوق السوداء السرية، يحترمه الجميع رغم غضبه وأفعاله الاجرامية، لم يخالف الأصول والعادات التي تربى عليها يوما، كان مثالا للتناقض الفج.

كان ليمو رجلا كثيف الشعر له أذن صغيرة ووجه ممتلئ وجسد أشبه بلاعبي المصارعة وذراعين كعصي البيسبول، كان يحب الطعام كثيرا، له علاقات غامضة مع الجميع عرف بين التجار والمجرمين باسم الوجه ذو الندبة، لقد كانت هناك ندبة تعلو حاجبه الأيسر لم يتغير شكلها مع الزمن وتجاعيد وجهه منذ أن حفرت في جبينه أثناء حادثة السيارة التي وقعت لعائلته وأودت بحياة والديه أسن وشدوة وتركته هو ورنيم وحيدين في الغابة.

أوقف ليمو كل أعماله عندما علم باحتياج أخته المحبوبة رنيم له، فأرسل رجاله في كل مكان، كثف جهوده بحثا عن حفيد أخته واستأجر أفضل

الرجال للبحث عنه واسترجاعه سالما، كان بداخله يحاول رأب الصدع بينهما الذي ازداد اتساعا وعمقا عبر السنين.

مرت الأيام سريعا على اختفاء رافي لم تره عين خلالها ولم يسمع عن خبره أي أحد.

كانت أولى أوراقي هذه قبل بضعة سنوات، لا أدري قريبة هي أم بعيدة، كنت أنا كما أنا الآن شخص تافه لا قيمة له بين القطيع أقصد الجميع، خالي الوفاض من المال والنساء، لم يكن لي حياة أو عمل، كنت أتسكع طيلة الوقت، لقد حاولت أن أتمسك بعملي قدر الإمكان إلا أن موجة الغلاء الشديدة قد أتت على الجميع حتى أصحاب الشركات المتضخمة، تشبثت بعائلتي بكل قوتي لكن الموت كان أقوى مني، لقد انتصر عليّ بالتأكيد، لقد أنهى عليهم الواحد تلو الآخر وأنا في موقع المتفرج المكبل بالأغلال، حتى أحلام الفتاة التي أحببتها خانتني بكل بساطة وجرأة مع رجل غني يفوقها سنا، لقد وددت كثيرا أن أقتلهما سويا.

لم يعد شيء يثيرني إلا الملل الدائم المستمر، بالتأكيد لن أمد يدي للحصول على المال ولن أتخلى عن درجتي العلمية المرموقة لأعيش أسير عمل متدني الشأن أنتظر خلف الصفوف لتحديد مصيري على يد الكبار، لم يبقَ لدي إلا صنارتي ويدي وصبري الذي لا ينفذ رغما عني لم أجد سواه قطعا، أعتقد أن القدر يعلم ما سأصل إليه، فألقاني في مدينة ساحلية وألهمني الصبر على صيد الأسماك لتكون طعامي وتجارتي كلما احتجت إلى المال بعت بعضا منها لأشتري ما أحتاجه من متطلبات الحياة البائسة، لقد كرهت هذا العالم هؤلاء البشر الأغبياء المنافقين.

ضن عليَّ الزمان بحياة طبيعية، لقد اختفى والدي بغرابة دون تفسير واضح، خرجا ذات مساء لزيارة طبيب والدتي لكنهما لم يصلا إلى وجهتهما ولم يعودا أبدا منذ ذلك الحين، حيث بحثت الشرطة عنهما بحثا مكثفا في كل مكان إلا أنها لم تعثر لهما على أي أثر أو مشاهدات بأي مكان آخر.

بعد فترة صعبة تدهورت حالتي المادية وانتقلت إلى شقة مشتركة مع زميلي شاهر، كنا صديقين منذ الجامعة، لقد كان شخصا خلوقا جدا يعمل لفترات طويلة عملا متصلا يمنعه من رؤيتي إلا في أيام العطلات فقط، شقتنا في حي هادئ محاط بالأشجار يبعد عن شاطئ البحر ستمائة وثلاثون خطوة.

لن يشعر بغيابي، بالفعل لم تكن أول مرة، كنت قد تعثرت في الصيف الماضي وأنا أصطاد أمام أحد الشواطئ وسقطت فارتطم رأسي بأحد الصخور وفقدت الوعي، في المرة التالية التي فتحت فيها عيني كنت في إحدى المستشفيات الحكومية، قالت الممرضات أن بعض الأشخاص أنقذوني وأحضروني إلى هنا فاقد الوعي وقام الطبيب بقطب الجرح أعلى جبهتي ووضعني تحت الملاحظة لبضعة أيام، لم يزرني أحد أثناءها.

أعتقد أني لم أعرف معنى الصداقة فعلا، لقد هجرني الجميع ليس لعيب بي ولكن صراحتي كانت زائدة عن الحد المحتمل أو المسموح به، لم تكن لديّ هذه اللباقة التي يتوارى خلفها الجميع، أيضا كان تعاملي مع الجنس الآخر نادرا إلا في القليل.

كان ذلك أحد أيام الثلاثاء المضجرة، على حد علمي لم يكن هناك ما يعيب يوم الثلاثاء تحديدا، إلا أنني أعتقد أن الشيطان وسوس لآدم في هذا اليوم تقريبا.

هو أيضا يوسوس لكل القتلة والسفاحين في ذات اليوم، لقد وسوس لي أيضا، أن أترك كل شيء خلفي دعوات المقهورين، فشل الحالمين، عواصف مارس، قصص الحب الفاشلة، محلات العطور الرخيصة، الأشجار التي أينعت معي، كل الخطى التي سرتها، كل بناء شاهدته يرتفع منذ أن كان مجرد قرميد وحصي، كرسي الحافلة المهترئ لكثرة المؤخرات التي اغتالت صمته طيلة سنين مضت، أذهب، وأختفي مع الأمواج أو بينها لا فرق.

كنت أعتمد نمط حياة مرتب بدقة كساعة بيج بن الشهيرة، كنت متميزا في تذكر أي حدث إلى أصغر التفاصيل غير المهمة، لكن دائما كان هناك شيء غريب حولي وحول اسمي أسيمار الذي لا أعلم معناه، كأن ذكرياتي لم تكن تواكب الواقع دائما.

كانت المفاتيح خاصتي في جيب بنطالي الأيسر وحافظة أوراقي في الجيب الأيمن الخلفي دائما.

عندما أصل للمنزل أتجاهل المصعد وأستخدم الدرج ثلاثة وثلاثون درجة حتى الطابق الثالث أبدأ دائما مع قدمي اليمنى وأنتهي معها لم أخطئ يوما طيلة أحد عشر عاما مضت، على الأقل اعتقدت ذلك.

لقد تعثرت ذلك اليوم ليس لأني أخرق ولكن لأنه في هذا اليوم أنهيت الدرج بقدمي اليسرى، بالطبع شككت في قدماي بما يكفي لإعادة فحص عدد خطواتي في الدرج مرة تلو الأخرى، ومن المؤكد أنه كانت هناك درجة مفقودة.

كان بإمكاني التحدث إلى جيراني لكنهم لم يكونوا من النوع الذي يهتم للتفاصيل ناهيك عن عدم قدرتهم كالجميع على التشكك في مصداقية الواقع، مما قد يدفعهم لوصمي بالجنون، لذلك تغاضيت عن الأمر، كان تغييرا بسيطا لقد تكيفت معه سريعا، كما تكيفت مع اختفاء إحدى أشجار الحي بدون أدنى أثر لوجودها لقد كانت تحمل اسمي الذي حفرته عليها وأنا صغير بعمر الزهور، تحرك القدر وأكمل رسائله نحوي.

اختفت أيضا مفاتيحي في اليوم التالي وتلاها دفتر مذكراتي وأغراض أخرى، بالقطع لم يكن اختفاء هذه الأشياء البسيطة متعمد عن سرقة أو غيرها.

كانت هذه الاختلافات أشبه بيد ساحر ماهر تعبث بتفاصيل حياتي الصغيرة ضمن عرض يذهل الجماهير ويملأ الأثير هتافا وتصفيقا حاد.

بدأت أتشكك في كل الأشياء حولي التي لم تكن في مكانها كما عهدتها من قبل.

استيقظت في الصباح التالي مع علامات على وجهي من آثار الوسادة اللعينة وبعض السوائل قبيحة الرائحة، أزلتها بحمام دافئ وهذبت لحيتي ونظفت أسناني بالفرشاة وقصصت أظافري على جميع أصابعي التسعة.

مهلا لقد نظرت نحو يدي ثم لمرآتي لأتفحص عيني ثم حولت نظري نحو يدي الأخرى، نعم أحمل تسعة أصابع فقط، أحد أصابعي كان بكل بساطة قد اختفى لم يكن هناك أي أثر له مجرد بشرة عادية تغطي المفصل، كانت أصابعي مكتملة حتى أقرب وقت مضى! لا أعلم ماذا حدث ليدي.

لم يكن من العادي أن يستيقظ البشر بدون أحد أجزاء جسدهم دون سبب حقيقي، احتجت أن أذهب إلى طبيب إلا أنه لم يكن لدي من المال ما يكفي لذلك.

كما أني لم أكن أحب الرائحة التي تكتسي بها صالات وغرف المستشفيات والعيادات الخاصة، لقد زرتها ثلاث مرات فقط في حياتي، الأولى حينما سقطت على الشاطئ وكان ذلك رغما عني أما الثانية حينما ذهبت لأتبرع بدمي لطفل صغير مريض اسمه هادي ونسان ابن أخ لأحد جيراني كوني أحمل فصيلة دم نادرة جدا كما قالوا لي في المرة الأولى، ولم أستطع الرفض حينها.

أما المرة الثالثة بالطبع كانت حين مجيئي لهذا الكوكب البائس.

~~~~

حفظ عم ونسان الجميل، أراد أن يعبر لي عن امتنانه وشكره وعرفانه بجميلي في ابنه، وعندما عاد من سفره في الشهر التالي كان قد وفر لي عرضا بالعمل في شركة الشحن البحري التي يعمل بها كعامل نقل بضائع على إحدى سفن الشحن، توافق ذلك مع وسوستي بالخروج من هنا بكسر الملل والترحال لرؤية أماكن جديدة، وشكرت الله عندما كانت كل الشروط تنطبق على حالتي.

لم يكن لموافقتي أي أهمية لديهم فقد كان العمل وفيرا، التحقت به وسافرت مع عم ونسان في الرحلة التالية في بادئ الأمر كان العمل شاقا مرهقا، ننقل الحاويات على السفينة التي كانت ضخمة بقدر قرية عائمة لها ثلاث طبقات أسفلها للمحركات وأخرى للسكن والطعام
~~~~

ومخازن وثالثة صغيرة للقيادة كالبرج بجانب سطح يتسع لملعبي كرة قدم.

ثم نلجأ للراحة طيلة الرحلة التي قد تطول أو تقصر حسب وجهتها وتظل مملة في كل مرة، وحينما نصل يكون العمل الشاق بانتظارنا تليه فترة من الراحة قليلة لكنها كافية لاسترداد طاقتنا سمحت بها الشركة لنا، اعتدت الأمر مع مرور الوقت، حتى إني بدأت أتحرك خارج السفينة رغما عن إرهاقي الشديد، أهرب ليلا لأرى الأبنية والأضواء، أتحدث مع الغرباء أذهب إلى الحانات وأحتسي مشروباتهم الوطنية وأطعمتهم الغريبة، أخالطهم وأسامرهم.

أثارتني حياة الترحال شوقا للمزيد، زهدت العودة إلى مللي القديم.

كان عم ونسان كبيرا ومريضا بما يكفي ليفوت بعض الرحلات عليه، وبالفعل لم يكن معي في الرحلة المحددة وجهتها نحو إندونيسيا التي أوصلتني إلى هنا، كان ضمن الطاقم شخص غريب الأطوار، أعتقد أني لم ألاحظه منذ اليوم الأول للرحلة ولم أره في أي رحلة سابقة.

لم يكن بالهيئة التي يغفل عنها أحد مثلي، رفيع طويل القامة بفم ووجنتين بزوايا حادة وأنف كمنقار الطير، كان منطويا لا يتحدث إلا في النادر القليل بنبرة صوت هادئة بطيئة، دائما يجلس القرفصاء متخذا ركنا في السفينة، اعتقدت أن لديه نوعا من أنواع الاكتئاب أو فوبيا البحر.

لقد تعثر بي يوما وهو يسير أمامي حينما كانت هناك أحد التيارات البحرية، اضطررت لمد يدي نحوه ومساعدته على النهوض، رأيت في عينيه نظرة لم أعرف معناها أبدا لكنها كانت كفيلة بأن تسري

القشعريرة بكامل جسدي، أومأ لي برأسه للأسفل ونهض وذهب إلى ركنه الحصين، حاولت مرارا أن أعرف عنه المزيد لكنه كان دائما صامتا كالصندوق الأسود.

أعتقد أني لديّ القدرة على التفريق بين الواقع وأحلامي دائما، هل حدث لك أن خضت هذه التجربة من قبل؟ هل حلمت يوما بشيء مادي ووجدته في الحقيقة أمامك؟ هل سمعت يوما قول الشاعر كولريدج:

ماذا لو أخذتك سنة من النوم؟

وحلمت بأن روحك ترقى في السماء.

إلى مكان عالٍ به جنة من الزهور.

وماذا لو قطفت منها زهرة؟

ثم استيقظت من نومك.

لتجد الزهرة بين أصابعك!!

لقد راودتني هذه الأحلام الواقعية منذ أن خضت غمار البحار، شاهدت الحانات في منامي قبل زيارتها، بعض أطباق الطعام، كنت أصف الطرقات والأبنية لزملائي في السفينة قبل أن نراها، أعتقد أن هذا الأمر كان مثيرا فقط وأقل خطورة من أن أجد زهرة بين أصابعي.

كان التعجب يبتلع الجميع بينما أحلامي تتحقق في الواقع، كان الأمر أشبه بأفلام الخيال العلمي، بالطبع لقد كذبوني في بادئ الأمر اعتقدوا أني زرت هذه البلدان من قبل، أو أن لديّ قرين أو شيطان يوعز إليّ

بهذه الرؤى، بغض النظر عن ما قالوا نحوي لقد أنارت مصابيح أحلامي لياليهم الباهتة القاتمة، وأصبحت كخبل المراهنات على صحتها من عدمه.

رغم ذلك كله كان هذا الغريب منعزلا بمنأى عنا، لقد قتلني شيطاني فضولا لأقتحم عقله لسبر أغوار نفسه العميقة، كأنه لغز خريطة كنز أردت حله، جمعتنا الظروف لأكثر من موقف سويا، ازداد تركيزي وملاحظتي له في كل أفعاله، لم يتركني حتى في أحلامي، لقد شاركني فيها، بل لقد تسيد أحدها وصار بطلها بدلا مني، لكن هذه المرة كان الحلم مختلفا، كان عن الماضي.

لقد كان بشعا، كانت جريمة قتل، لقد طعن رجلا ما وامرأة سويا في غرفة نوم دائرية الشكل تطايرت الدماء عليه وملأت الأغطية والأرضية.

لقد تكرر الحلم أكثر من مرة وصار مزعجا، اعتقدت بادئ الأمر أنه مجرد كابوس مزعج أشبه بالكوابيس التي كانت تراودني في أيامي الأولى في البحر.

لم تكن الأدوار العليا على متن السفينة مسموح لنا نحن العمال بالتواجد فيها كالعادة هي للطبقة الغنية فقط كان الاختلاط ممنوعا، حتى السفن التي تخوض ظلمات المحيطات كانت طبقية سيئة السمعة.

اعتقدت دائما أن أيام الخميس وأيضا الأرقام الزوجية أشياء طيبة وأحببتها أكثر من غيرها، لذلك كنت سعيدا حينما بدأت هذه الرحلة يوم الخميس الذي لن أنساه أبدا، لقد انتابني القلق كان هناك أطقم تأمينات أعلى من أي رحلة أخرى وبينهم جنسيات أجنبية، نقل البضائع قبل بضعة أيام كان سريعا وسهلا، علمت من رئيس طاقمنا بأن وجهتنا هي إندونيسيا، تحركت سفينتنا في منتصف الليل تشق البحر الأحمر نحو البحر العربي إلى المحيط الهندي، لم أشعر بمرور الوقت حتى اقتربنا من ساحل الهند، كان لنا هناك محطة توقف لمراجعة تقنيات الأمن والسلامة والصيانة والتزود بالوقود ومستلزمات الرحلة، لم يكن مسموحا لنا هناك بمغادرة الميناء، كنت أشاهد ترتيبات الرحلة عبر كوة قمرتي التي كانت غير مرتبة نوعا ما، كان هناك رجل صغير الحجم ذو شعر مجعد أشقر وشارب خشن بلون أصفر فاتح وشفاه علوية مشقوقة يجلس بجانبي سمعت همهمته، حدق كلا منا في الآخر مدة دقيقة، كانت له عينان غائمتان ووجه أملس لكنه لم يتحدث مطلقا حينها صدر صوت بالخارج بدا كأزيز عالٍ مع ارتطام معدني، فنظرنا نحو الخارج حينها ظهر رجلان، كان الأول يخفي وجهه وقد سرق الأنظار ولفت الانتباه بثيابه الأنيقة ومشيته الموزونة المميزة وهو يطوي الأرض بين قدميه بثقة ولا مبالاة بما حوله والآخر كتابع يحمل حقائبه وكانا من الهنود أو بالأحرى الحمال، لذلك قد توقعت أن يكون صاحب الوجه الخفي من الهند أيضا، وقد أحاط بهم طاقم الأمن في حراسة مشددة وظهر عليهم الاهتمام بالرجل وبحمولته من حقائب أخرى تتبعه.

طفقا يصعدان إلى متن السفينة عبر الجسر حينها تحدث صاحب الشارب الأصفر قائلا: "هذا مخالف لقوانين شركتنا التي تمنع اصطحاب غير العاملين بها في الرحلات".

أعتقد أن العاملين لم يعيروه أي اهتمام، لقد كانوا يتضورون شوقا لرؤية إندونيسيا المسلمة، زخارف جوامعها وألوان مآذنها ورنين صوت الأذان بين جنباتها، بدأنا التحرك قبل شروق الشمس بقليل، ستستغرق الرحلة بضعة أيام ليست بالكثير.

مر اليوم الأول دون أي أحداث هامة سوى بعض العواصف الهوجاء المتتالية ضمن تحذيرات من وكالة الأمن والسلامة الوطنية الهندية حول حالة الطقس السيئة وبعض الكوابيس التي راودتني.

في اليوم التالي.

هناك بعض من أشيائي قد اختفى، لم أكن أعر ذلك اهتماما، لم تكن حالة الخصوصية متاحة هنا كان الجميع ينامون في نفس المكان، بمرور وقت الظهيرة كان ذو الوجه الضخم كما يطلق عليه البحارة يصيح ويصرخ باحثا عن ساعته وغليونه الذين قد اختفيا أيضا، لقد أمر قائد الطاقم أن يفتش في خزائن كل الطاقم دون الضباط طبعا، وبحلول الغروب كان الأمر قد تفاقم، لقد أبلغ الجميع عن اختفاء الكثير من أغراضهم، لم ينتبه سواي، كان هناك رابط وحيد بين كل تلك الأغراض حتى أشيائي التي اختفت مني.

كانت كل تلك الأغراض معدنية بشكل ما، خواتم، أقلام، ساعات، أدوات تدخين، سكاكين، أدوات مائدة، مقصات، أدوات حلاقة وتنظيف

شخصية. كانت هناك حالة واحدة لأحد أفراد الطاقم اختفت أسنانه المعدنية، لقد كان الأمر محيرا ومفزعا لمعظم الطاقم، ارتفعت المعاناة لدى الجميع، أصبح أفراد الطاقم يأكلون بأيديهم، توقف الوقت من حولنا، لم يستطع أحد منا تحديد الوقت بدقة.

اليوم التالي.

لقد أصبح العمال والطاقم أكثر عدوانية فيما بينهم، لم يعلم أحد السبب، كان الأمر غريبا فعلا، وفي المساء كان بعض العمال في القمرة حولي يستمعون لما رويته من أحلامي، توقفت على صوت هرولة وصراخ أبد الصغير، كان الجميع يلقبونه بالصغير لقصره الشديد لكنه كان مفيدا ومهما في إصلاح الأعطال في الأماكن الضيقة المغلقة، لن نستطيع أن نتخلى عنه فهو دائم الوجود معنا في رحلاتنا.

لقد صرخ قائلا: لن تصدقوا لقد ضرب شاهر الطاهي عامل اللاسلكي بالهراوة حتى شج جبينه ولقي حتفه فورا، أما شاهر فقد احتجز في قمرة انفرادية.

لم يكن هناك ما يدعو لهذه الكارثة كان هذا العامل ما يزال صغيرا لم يكن غير شاب متفائل حديث التخرج، ستصدم عائلته جدا لسماع خبر موته.

قلت بصوت مهتز: "لا أصدق شاهر الطاهي صاحب الابتسامة العريضة! كان دائما طيبا ودودا! هناك لعنة تغمر هذه الرحلة!".

حينها وصل طبيب السفينة بين سبعة من طاقم الأمن مسلحين بهراوات الصدمة الكهربائية إلى طبقتنا مع أمر من القبطان بالكشف الطبي على الجميع، أتمنى لو كنت معنا لترى معاناة هذا الطبيب في الكشف علينا بدون أجهزته الطبية التي قد اختفت في اليوم الأول ضمن كل شيء معدني قد اختفى.

بدا الجميع بصحة جيدة غير انتشار حالة العدوانية بينهم، عندما انتهينا من الفحص ذهب الجميع إلى النوم بأمر القبطان.

كانت المشاكل بكل مكان، المشاكل والألم ما يبقيان المرء حيا أو سعيه في محاولة التخلص منهما.

في هذه الليلة رأيت كابوسا أو جاثوما أيا كان ما يسمى، سبحت في بركة من الوحل والروث أسوأ ما يمكن أن تتخيلوه حتى جاء الغريب وانتشلني منها.

وفي الصباح التالي.

كنت أقف متكئا إلى حاجز السفينة أنظر نحو الأفق أتذكر ميس، علاقتي الأولى التي خانتني، حاولت مرارا أن أفهم يوما كيف أنها على علاقة برجل آخر بينما كانت تحدثني عن حبنا طيلة الوقت ليل نهار.

ظهر الغريب من العدم ووقف بجواري، أحسست بصوت أنفاسه الغاضبة، واجهني بنظرة حادة مريبة قائلا: "لقد رأيتك، كنت تحلم بي أليس كذلك؟ لا تصدق حلمك اللعين، أبدا لم يكن الواقع أحلاما ترى".

قلت: "أتتلصص عليّ أيها الأخرق!".

- لم يكن بيننا يوما أي تحدٍ فمساراتنا مختلفة.

قلت بنظرة تساؤل: "أقتلت حبيبتك أحلام والرجل الغني فعلا؟".

- فلتبعد حاستك الشيطانية عني أيها المستبصر!

فدفعته بيدي ليسقط أرضا وتنحيت في حركة واحدة إلى الجانب الأيسر في جزء من الثانية متفاديا عصا خشبية طويلة مدببة كالرمح اندفعت نحونا من خلفه اعتقدت أنها موجهة له، شاهدت الرجل يهجم علينا لاهثا بينما كان لسانه متدليا من فمه مع سائل أصفر دموي قاتم اللون، رأيته ينقض واضعا فكه أسفل رقبته، الغريب أراد أن يقتله بينما الغريب يدافع عن نفسه بصعوبة.

تسمرت بموضعي، كان الموقف صادما، استطاع الغريب دفع الرجل من فوقه بكلتا قدميه، لقد تعثرت قدما الرجل بوتد في مقدمة السفينة وتراخت وسقط صارخا صرخة مدوية، لقد نظرت له مع ابتسامة صفراء وهو يسقط في مياه المحيط كحجر أصم.

تجمع العمال حولنا في نظرة تساؤل عما سمعوه من صراخ، بينما نظر أحدهم إلى المياه صارخا: "لقد سقط أحد العمال! هناك رجل في المحيط!".

حاول آخر أن ينقذه فألقى إليه بطوق النجاة، لكن مياه المحيط كانت سريعة في أن تقضي عليه وتسحبه نحو الأسفل مبتلعة إياه كنفق مظلم نحو النهاية.

في الساعة التالية لما حدث كان كل منا أنا والغريب في قمرة انفرادية تحت الحراسة الأمنية بأوامر القبطان.

مر الوقت متثاقلا بطيئا لم أرَ حينها أيا من أفراد الطاقم، ساعات أم أيام مضت لا أعلم، كانت الأحلام فيها رفيقي الوحيد، في اليوم الذي توقف فيه إمدادي بالطعام عبر كوة مخصصة لذلك، وبعد فترة طويلة من السكون سمعت نقرا غير منتظم طيلة دقائق وقد بدا صوته في تصاعد، في لحظة ما انفرج باب قمرتي فتراجعت للخلف متأهبا، تراءت لي بعض الظلال ثم ظهر الغريب ينظر لي بابتسامة نصر.

قلت: "ماذا حدث كيف خرجت من قمرتك؟!".

قال: "فقط اتبعني ستفهم قريبا".

خرج إلى الطابق الأعلى، لم نقابل أي أحد في طريقنا حتى وصلنا إلى قمرة القيادة، كنت أبحث حولي عن أي شخص لكن لا وجود للجميع.

سألته: "أيها الغريب أين الجميع؟ لماذا لا وجود لأحد؟".

كانت نظرته مخيفة بعض الشيء وقال: "ألم تكرههم؟ لقد اختفوا، لا وجود لهم".

قلت: "ما معنى (لقد اختفوا)! لا يختفي الأشخاص هكذا بكل بساطة!".

لكن كعادته السيئة لم يكن ليرهق نفسه في تحريك شفتيه ولسانه للرد عليّ.

تفحصت كمبيوتر السفينة، كان على وضع القيادة الآلية، نظرت حولي، كان المكان مليئا بملابس البحارة ملقاة بإهمال في، أماكنهم المعتادة كأنما تبخر أصحابها أو انتثروا في الهواء، لم يكن هناك صوت غير هدير المحركات التي تشق مياه المحيط إلى المجهول.

تجولت في الأرجاء لقد تركوا حتى موائد الطعام معدة ومليئة بأصناف شتى من الأطعمة لم تقترب منها يد بشرية.

فتشت جيدا ولا آثار لجثث حتى أو دماء أو غير ذلك، حتى كلابنا الأليفة قد اختفت، ما هي نهايتهم؟ هل سقطوا في المحيط؟ لماذا تركوا ملابسهم وأغراضهم خلفهم؟ هل ألقوا بأنفسهم خوفا من شيء ما؟ كانت رأسي تؤلمني من التفكير، لم يقبل عقلي ذلك ببساطة كاختفاء إصبع يدي الصغير أو اختفاء أغراض الطاقم بين الحين والآخر.

صارت السفينة ملاذا للأشباح وأنا والغريب فقط الذي لم أكن أعلم اسمه حتى الآن.

لقد انتظرني في قمرة القيادة إلى حين عودتي.

دخلت عليه قلت: "يجب أن نرسل نداء استغاثة عاجل".

فقط يبتسم بلا أي شفقة أو تعجب أو خوف، كنت دائما ما أراه كأنما تلوثه الدماء، ملابسه، يديه، حتى وجهه المتحجر.

قال: "لا ترهق نفسك بذلك لقد تعطلت وحدة الراديو، نحن الآن أفضل بكثير على الأقل سنستمتع بالطعام والرحلة بمفردنا".

نظرت إلى الافق عبر زجاج مقدمة السفينة محدثا نفسي: "يا إلهي لن تكون نهايتي مع ذلك المخبول..!".

كان الليل قد بدأ يرخي أستاره من حولنا.

تحرك نحو الخارج وقال: "سأتفقد غرفة القبطان سأجد ما يساعدنا حتما".

كانت قمرة القبطان إلى اليسار في الممر الثالث للخلف بعد عبور الجسر تليها عدة قمرات إضافية ممتدة عبر الممر للنوم، حتما كان الوضع مخيفا، لقد دخل الغريب قمرة القبطان وجمع الخرائط وغيرها من أوراق تخص هذه الرحلة، وطفق عائدا إلى غرفة القيادة.

كنت أتفقد أجهزة القيادة الآلية عندما سمعت صوت أقدام.

فصرخت قائلا: "من القادم؟".

ظهر الغريب قائلا: "لقد وجدت كل ما يخص الرحلة من وثائق قد تساعدنا على الوصول لأقرب شاطئ".

قلت: "أيا كان ما سيحدث لنا في الأيام المقبلة فنحن موفورا الحظ لنأخذ فرصة أخرى ونظل على قيد الحياة، كان شجارك مع هذا العامل من حسن حظنا. لقد حال عزلنا الانفرادي دون أن نلقى نفس المصير الغامض للجميع".

كان من الصعب عليّ أن أفهم ما حدث لهم، لكني كلما حاولت تخيل الأمر سرت قشعريرة باردة في جسدي وانتشرت بين أوصالي.

كانت التساؤلات تنهش عقلي مختلطة بأصوات عواء ذئاب مرتفع يملأ الأفق، لم أستطع أن أنام هذه الليلة بالطبع لم أستطع أن أمارس هوايتي، أحلامي الواقعية.

لم يكن للأيام التالية وقع مختلف، كانت جميعها كمذاق القهوة الباردة.

مررنا بعدة جزر في الأفق من حولنا، قال - إنها كانت مجرد خداع بصر أو سراب ما، لا وجود لها في الخرائط".

لم اكن أصدقه بالطبع لكني علمت حتما أن مسارنا كان خاطئا بشكل ما، بمرور الأيام كان الوقود في حالة النفاذ، لم نصل إلى وجهتنا أو أي أرض أخرى، ضللنا طريقنا بالطبع، لقد قررت أن أحول مسار السفينة إلى أقرب مجموعة جزر تراءت لي في الخريطة، قد أجد هناك أي وسيلة اتصال بمسئولي الشركة.

لكني لم أستطع ذلك، كانت محاولاتي المتعددة فاشلة، لقد انتهى الوقود قبل أن أصل إلى أي شيء، أعتقد أننا أبحرنا في المحيط بلا هدف لمدة طويلة.

كانت قوارب النجاة المعلقة ببدن السفينة هي سبيل النجاة الوحيد، جمعت ما يكفيني من الطعام والملابس تحسبا لبرودة الطقس، أعطاني الغريب البوصلة والخريطة، لم تكن له رغبة في ترك السفينة، لم أتخيل أني سأكون وحيدا لهذه الدرجة مع نسبة نجاة لأقرب جزيرة أقل من نسبة نجاح العلماء في العثور على كوكب آخر به حياة غير الأرض كما اعتقدت.

~~~~~
~~~~~

لا أعلم أي يوم نحن، مر النهار عليّ بين الأمواج المتلاطمة، كانت أفكاري مشوشة وقلقة، اعتقدت أنه أحد أيام الثلاثاء الكئيبة، أتعبني التجديف، كانت يداي تؤلماني باستمرار، أعتقد أن التدرب على حمل الأثقال كان أسهل بكثير، بينما الليل كان مخيفا جدا، مرعبا، كل شيء من حولي مظلم، لقد توقفت عن الحركة من فرط الإرهاق، المحيط في الأفق كحلم بشع على كوكب مائي لا حياة فيه، كانت البرودة تملأ جسدي، لقد تراءت لعيني خيالات بيضاء، أشباح أم تجمع بخار ماء؟ لم أكن أفهم الأمر. انتشرت الرجفة في أطرافي، لا أملك سوى أن أغمض عيني إلا أن الأمر كان متشابها لا فرق فيه بين أن أغلق عيني وأرى ظلمة جفوني أو أبقيهما مفتوحتين لأرى ظلمة الليل الحالك، لقد استلقيت على ظهري فوق صفحة المياه أنظر إلى مصابيح السماء المنيرة، أخذت أفكر في أنني لو كنت أملك ما يكفي من الشجاعة لشربت ماء المحيط كي أصاب بالجنون وألقى حتفي سريعا، حتى طاف النوم بعيني وأذني وامتلك تلابيب عقلي.

في اليوم التالي استيقظت على حرارة الشمس تلهب قاربي، كان الطقس حارا في بداية النهار رطبا، بعد أن أنهيت طعامي أخرجت البوصلة والخريطة، تأكدت من موقعي، بدأت في التجديف مرة أخرى، ظهر قطيع من الدلافين حولي، إنها مخلوقات لطيفة ملأت فراغ وحدتي قليلا.

كانت تتراقص وتقفز فوق الماء ظننت أنها تلفت انتباهي نحو شيء ما، لم أكن أجيد التعامل معها سابقا، بمرور الوقت كانت الشمس تتجه إلى الأسفل نحو الأفق تتوارى خلف مياه المحيط، لقد تغير الطقس سريعا، أصبحت المياه كالثور الهائج، اختفت الدلافين، ثار الهواء من حولي، بدأت السحب تظهر في غرب السماء. في غضون ساعات قليلة تجمعت

الغيوم لها شكل مختلف عما رأيته طيلة حياتي، كانت أشبه بأثداء البقر لكنها أكبر بكثير، كبيرة بما يكفي لتكون مرعبة لكل من يراها مع بعض ضربات البرق الهوجاء، لقد نجوت بأعجوبة من إحدى ضربات البرق الخاطفة خلفي، لم أرها بالطبع لكني شممت رائحة أشبه بالكلور المحترق، ظهر خلفي جدار ماء بعلو شاهق، ظل يقترب نحوي، جدفت سريعا دون جدوى، لا محالة من اصطدامه بي، لم تكن سوى دقائق سريعة، لقد ضرب قاربي بشدة، وقعت في الماء واختفى كل شيء فجأة.

عندما أبصرت النور في المرة الأخرى حاولت أن أفتح عيني لقد كان ذلك مؤلما، لكني تغلبت عليه، نسيت الألم حينما رأيت وجهك الذي لم أرَ مثله أبدا بين نساء العالمين، نظرات عينيك كدقات قلب زهرة دوار الشمس، ذاب قلبي بين ضلوعي حينما سمعت صوتك الهادئ، كان النسيم من حولي يلمس روحي لأنه ممتزج بأنفاسك.

قلت: "يا إلهي أي جمال هذا!".

دارت عيني في المكان، كان خيمة واسعة مريحة للعينين، الهواء منعش يحوطها ضوء الشمس في خجل صريح، كان الفراش مريحا رغم بساطته.

قلت: "أين أنا الآن؟ كل ما أذكره هو تحطم قاربي بين صخور الجزيرة المدببة والأمواج المتلاطمة".

لم أفهم حديثك على الإطلاق، كانت لغتك غريبة على أذني، أعتقد أنك لم تفهميني، لقد أشرت بيديك ما حاولت فهمه: "إنهم قد خرجوا للصيد

مـن ميـاه المحـيط ووجـدوني ملقـى علـى شـاطئ الجزيـرة مـع بعـض الأغراض، لقد أنقذوني من النسور التي كانت تنتظر لتأكل من لحمي".

لقد أشارت لي أنها هي من كانت ترعاني تحت حراسة رجال القبيلة وقد غبت عن الوعي لعدة أيام قليلة، وعندما استيقظت كـان وجودها مطمئنـا لي رغم أننا لم نفهم بعضنا البعض إلا في القليل.

- فـي يـومي الأول علـى الجزيـرة خرجـت بـاكرا مـع (سـبريلا) لأشعر بالهواء الطلق قرب مياه المحيط.

سرت بين طرقات القبيلة التي كانت بدائية جدا عبارة عن تجمع كبير من الخيام البسيطة المصنوعة من جلود الحيوانات. سرنا بين الرجال شبه العراة مع الرماح الخشبية في أيديهم، حتى الأسلحة كانت بدائية، لن تحلم بوجود مثل هؤلاء رغم التقدم الذي ينتاب العالم كله.

حتى وصلنا إلى شاطئ الجزيرة بجانب مياه المحيط الهوجاء تضرب هنا وهناك، كان المشهد مهيبا، لقد حاولت أن أظهر الجَلَد أمامها مخفيا إحساس خوف انتابني دون سبب مقنع.

كانت تتحدث إليّ معظم الوقت عبر الإشارة بيديها.

سألتني عن موطني حيث أتيت فأشرت لها من مكان بعيد محاولا وصف شكل المكان حيث كنت أعيش بأشجاره وبحاره بينما كان الوقت معها يمر سريعا.

بدأت الاختلاط بالجميع في وجل كانت النساء تتحاشاني أما رجال القبيلة كانوا يتعاملون معي كمستعمر أبيض.

كنت أتجول بمفردي طيلة أيام وفي الليل أذهب إلى جزء في خيمتها مخصص لي وأسدل الستار الجلدي على أحلامي التي ضاعت سدى دون رجعة.

تلك الليلة تحديدا وجدتها تفتح ستارتي، تطل عليّ بعيونها المخملية، نظراتها تسحرني تنسيني العالم وتلقيني في متاهة خفية بين الزمان والمكان لم أشعر إلا وهي تجلس قربي وتضع بجانبي كتيبا صغيرا يتوارى الغبار بين صفحاته خجلا، أشارت إليّ أن أتخلى أخيرا عن النظر في عينيها وألقى عليه نظرة، عندما حولت نظري إليه فوجدته كتاب ترجمة للغة الإنجليزية ويقابل حروفها حروف أخرى أجهلها تماما، فهمت ما ترمي إليه، كانت تريد خلق لغة حوار بيني وبينها، جلسنا القرفصاء وأخرجت قلما من بين أغراضي المهترئة، ظللنا معا حتى شروق الشمس، كونت لها مجموعة كلمات بالإنجليزية وجمعتها بلغتها وحاولت أن أشرح المعنى فضحكت كثيرا على شرحي لها بكل الطرق.

لكم طربت لضحكتها، وددت لو أن الزمان يقف أمام ثغرها مشدوها، حلمت لو أني لمست وجنتيها الورديتين، لكني لم أستطع ذلك لا أدري لمَ، تعبنا أخيرا وخرجنا معا من الخيمة نرى الشمس ترسل أشعتها الذهبية لإحياء يوم جديد، قلت لها صباح الخير باللغة الإنجليزية، ترددت قليلا ثم ردت بمرح طفولي كأنما سقطت عليها ريحانة طائرة وأعادت ما قلته ولكن بلكنة غريبة محببة، ضحكنا سويا ودخلنا كل

لمخدعه فقد أضنانا السهر، نامت عيناي محتضنة وجهها متلمسا منه الأمان الوحيد بهذا المكان.

مر يومان ونحن يوميا نتعلم ليلا لنجد كلمات تربط بيننا، لم اكن أدري أن هناك رابطا آخر ينبت برحم علاقتنا ليلد جنين حب صغير لم أعلم بمولده سوى عندما رأيت نظرة هلع في عينيها الجميلتين نحوي.

كان اليوم نهارا مشمسا حارا وكعادتنا أخرج معها لشراء حاجياتها البسيطة وأحمل عنها ما يثقل حمله عليها، كانت تعمل بغزل الصوف والحلي المنظومة من الأحجار الصغيرة المصقولة، حاولت مساعدتها بكل ما أستطيع، كانت تفرح كثيرا.

بينما في هذا اليوم تحديدا لا أعرف هل ملت من سعادتنا الأيام، أم ضن علينا القدر بقدر أكبر من ذلك الهدوء أم هو أحد أيام الثلاثاء الغنية عن التعريف.

قابلنا إحدى النساء قبيحة الوجه بملابس كثيرة رغم عدم تناسقها بتاتا، كانت تعبث بأشيائنا بل وتتلفها، حاولت سبريلا أن تبتعد لكن هذه المرأة افتعلت معها شجارا لم أفهم سببه ولم أفهم أي كلمة مما خرجت من فميهما، أبعدتها عنا وأحضرت سلة مصنوعاتنا، حاولت هي أن تعترض طريقنا، لقد جذبت سبريلا من يدها حتى نعود أدراجنا، لا أريد لها أن تتأذى بأي شكل، لم تتخطَّ قدماي الثلاث خطوات حتى وجدت من يجذبني من ملابسي بعنف وهو يصرخ بقوة لم أفهم منه أي شيء، شهقت هي ونظرت نحوي برعب وخوف، اشتبكت مع الرجل في قتال لا أعي سببه أيضا، لقد كان ضخم الجثة إلا أن الأمر كان سهلا بالنسبة لي لقد استطعت هزيمته بعقلي أولا قبل قوتي وقمت بالتغلب عليه

وصرعه، قبل أن أفكر فيما يحدث كانت سبريلا تدفعني للابتعاد من المكان كله، باتت هذه الليلة في خوف لا أعلم سببه حتى إننا لم نمارس قراءتنا المعتادة.

في اليوم التالي صدمتني المفاجأة، ظهر زميلي الغريب أمام الخيمة فجأة واخبرني أننا سنقابل رأس قبيلتهم، لقد نصحني بالحذر أثناء الحديث معه، تعجبت، بالتأكيد دارت في رأسي الكثير من الأسئلة، كيف وصل إلى هنا، لكنه بالطبع لن يجيبني عن شيء.

تحركت عندما ساعدتني قدماي على الوقوف، لقد سرنا في صف نتبع أحد رجال القبيلة الذي كان في المقدمة يليه الغريب ثم أنا.

لقد دخلنا بناءً حجريا في كهف فسيح بباطن الجبل مضاء بمشاعل كثيرة شديدة الاضاءة على جانبيه أعمدة متراصة متقابلة دائرية الشكل محفورة في حوائط الكهف.

كان هناك تجمع كبير من أبناء القبيلة في انتظارنا يتشابهون في ملابسهم الجلدية.

انتظرنا بعضا من الوقت قبل أن يظهر شخص ما قام الجميع بالانحناء له، كان الأعلى طولا بالمقارنة بالجميع، لقد أجبرونا على الانحناء له، كان وجهه هادئا مع قسمات هندية، شخص لطيف يلبس تاجا فوق رأسه على شكل رأس ثور بقرون كبيرة.

لقد بدأ بالتحدث بالفعل، لم أفهم ما يقوله بالطبع، لقد بدا غاضبا، لقد تبادلوا الحديث، كان الغريب يستمع لهم ويتحدث مع أحدهم باللغة الإنجليزية، كيف كان يفهم لغتهم لا أعلم، أعتقد أن الحديث كان يدور

حولي، نظر الجميع نحوي بغضب ما، أحسست به وشعرت بهم يريدون الفتك بي.

تقدم كبير القبيلة نحوي ببطء، حينها أمسك بي من الخلف رجلان، كان وجهه هادئا حينما كان في حيز قريب مني، توقف واستدار دورة كاملة للخلف فخمنت أنه عائد لعرشه إلا أني كنت مخطأ.

لقد التفت إليّ بوجه آخر، يا للهول! كان له وجه ثانٍ خلف رأسه، إنسان بوجهين!! ما هذا المخلوق غير البشري، كان وجها مختلفا قبيحا جدا بقسمات مرعبة شيطانية وعينين قبيحتين وأنياب حادة سوداء مشوهة وأنف أجدع، كان يظهر شرا مخيفا، من أي مكان من الجحيم هبط هذا الكائن! لقد اقترب مني أكثر، اقترب بأنفه وأخذ يشم رائحتي لم أكن أفهم ما يفعله.

لكنه انتهى سريعا وأشاح بيده للرجال، لقد اقتادوني لا أعلم إلى أين كنت خائفا من الموت، لم تكن أحلامي لتصل بي لأسوأ من ذلك، خرجنا من المغارة أمام الجميع وخلفي كان الغريب أيضا بين أيديهم، كانت نساء القبيلة تنظر إليّ بخوف مبتعدين عني حتى مررنا بالخيمة التي أفقت فيها، كانت الفتاة هناك تنظر إليّ نظرة شفقة مختلفة، تبادلنا النظرات سريعا واعتقدت أنها قد تريد أن تقول لي شيئا ما لكني بالطبع لن أفهمه في الوقت الحالي، وبعد مسافة ليست بالقليلة وضعنا رجال القبيلة في قفصين خشبيين مدببين منفصلين، لم يكن بوسعي التحدث إلا مع الغريب رغم خوفي وقلقي منه، لم أشعر حينها أنه في جانبي، كنت أنا الوحيد العاجز عن فهم ما يدور حولي.

عندما انصرف عنا الجميع، كان الغريب يجلس في وسط القفص موليا مؤخرته لي.

اضطررت لأن أنادي عليه أكثر من مرة حتى ينتبه نحوي.

قلت: "هل يمكن أن تخبرني ما هذا الكائن هناك؟ ولِمَ وضعونا في هذه الأقفاص؟ هل سيكون مصيرنا الموت قريبا!".

قال: إنهم يبحثون عن قاتل زوجة الحاكم، لقد وجدوا جثتها بالقرب من الشاطئ، يشك الحاكم أنك من قتلتها بعد الشجار الذي وقع بينكما ليلة أمس وصرعت فيه حارسها الخاص".

قلت: "ألن يعطيني فرصة للدفاع عن نفسي؟ ألم تخبرهم بما حدث لسفينتنا في المحيط؟".

قال: لقد أخبرته ما يلزم قوله، لا يوجد ما يمكن مناقشته معه".

قلت: "ماذا سيفعل بنا؟".

قال: إنه ينتظر عودة عرافة القبيلة من المعبد الكبير فوق الجبال حينما تنتهي من طقس العبادة".

قلت: " كان هذا الوجه الآخر لهذا الرجل مقززا ومخيفا جدا ".

قال: لقد قال الجميع إن هذا الوجه الشيطاني خلفه لعنة قديمة لخطأ ارتكبه أجداده لا يعلمه أحد".

لم أكن أدري ماذا سأفعل، غامت الدنيا في عيني.. ظننت أنها النهاية، نهاية غريبة حتمية.

- فوق ربوة منبسطة في جبل شاهق الارتفاع يقبع أحد أشد الأبنية قوة شيدته أيدي رجال قبيلة.

" فلتهبنا يا إلهي ذكاء السرب الجماعي، عقل الخلية، نتحد معا في اختيار واحد واتجاه واحد ".

صوت هادئ ينطق هذه الكلمات بنبرة قوية تحمل كثيرا من الحكمة يخرج من سيدة بالغة الهرم، يضرب حوائط قاعة دائرية تصدر صدى صوت مبهر كصوت نغمات الفخار القديم يضرب حوائط البناء جيئة وذهابا.

دخل أحد الغلمان إلى القاعة على استحياء ووقف صامتا خلف السيدة العجوز إلى حين انتهت من ترانيمها، والتفتت إليه بوجهها المليء بتجاعيد مختلطة بوشوم ورسوم من الماضي السحيق وأشارت له بيدها أن يصمت حينما نظرت في عينيه قائلة: "لقد وجدوا القاتل ويريدون مني الحضور لأؤكد لهم شكوكهم".

أومأ الطفل (يافد) بالإيجاب، لقد اعتاد هو والجميع على قدرات العرافة الخارقة، بالطبع هي مختلفة عنهم جميعا، ثم استأذن منها وخرج في هدوء يليق بوقار عرافة القبيلة.

في خيمتها كانت سبريلا تنتظر تفكر فيما يراودها من حلم عجيب يتكرر طيلة الأيام الماضية تحاول تفسيره دون جدوى، ظلت أيضا تتذكر من ظهر في حياتها دون سابق إنذار وأمضى معها طيلة الأيام السابقة، كيف اخترق عقلها بهذه الصورة، كيف امتلك قلبها بهذه السرعة العجيبة، تفكر في مصيره ومصيرها بعده، هل ستثبت العرافة اقترافه القتل فعلا؟ إنها لن تصدق ذلك فهي تصدق قلبها فقط وقد أخبرها أن هذا الرجل بريء، لن تصدق أن هذا الوجه الطيب وهذه النفس الملائكية قد تقتل إنسانا آخر.

لم تلحظ سبريلا دخول يافد عليها فقط انتبهت لكلماته قائلا: "قالت العرافة إنها لن تخرج من محرابها قبل ثلاثة أيام حتى تتم طقس عبادتها المعتاد".

- لن أتركه يا يافد إلى احتمال الهلاك، لم أرَ رجلا مثله من قبل.

- يا إلهي هل جننتِ يا سبريلا! سيقتلك الحاكم قطعا سيكون مصيرنا العذاب والهلاك!

- الغاية أغلى يا يافد، أغلى من حياتي نفسها، سنهرب سويا، يجب أن تساعدنا على الهرب لن تتركني إلى هذا المصير المفجع.

- لن تفيدني الحياة هنا بدونك يا أختي الوحيدة، لن يتركني الجميع وشاني بعد هروبك.

- سنحتاج إلى قارب خشبي لنذهب إلى أقرب جزيرة وبعض الأدوات والملابس الثقيلة التي ستعاونني في جمعها.

- أعتقد أن هذه الأشياء يمكن جمعها بسهولة وشراء البقية منها من السوق، أمهليني القليل من الوقت فقط.

كان يافد فتى ذكيا له عينان ضيقتان ووجه نحيف وشعر داكن منظوم بضفيرة واحدة خلف رأسه الصغير، انطلق في الغابة منذ طفولته يلعب مع حيواناتها وبين أشجارها العالية.

- بينما كنت أغط في نوم عميق لم يكن عن اطمئنان ولكن كان إرهاقا واستسلاما، حينما شعرت بوخز خلف ظهري بين الحين والآخر وقد أخذ يزداد ألما كالرجم بالأحجار، مما أيقظني خائفا ملتفا خلفي أبحث عن مصدر هذه الحصى الصغيرة فانتبهت لوجود أحد ما خلف الشجيرات الطويلة التي كانت تتمايل بفعل فاعل، نظرت نحوها فكانت الفتاة الجميلة هناك ومعها غلام لم أره من قبل، لقد نظرا حولهما في خوف حتى عندما اطمأنا اقترب مني الغلام.

قالت: "نحن هنا لإنقاذك، هيا بنا قبل أن يرانا رجال القبيلة".

قلت: "لا مكان للهرب سيدركون كلينا وسيزداد الضحايا اثنين آخرين فقط".

اقتربت سبريلا وقالت: "سأنقذك كما أنقذتك المرة الأولى لا مجال لمخالفتي".

أخرج يافد خنجرا معدنيا بدائيا صغيرا وأخذ يقطع الأوتاد والحبال التي تربط القفص الخشبي حولي في صمت حتى استطعت الخروج منه.

استوقفته عندما تحرك مبتعدا وقلت: "يا يافد لن أترك هذا الرجل خلفي أخرجه معي سيكون رفيقنا في أي مكان نذهب إليه".

كنت بالطبع أشير للغريب الذي كان ينظر لنا في صمت متجاوزا أجسادنا نحو الفضاء السحيق.

نظر يافد إلى سبريلا نظرة مطولة ثم اتجه إلى القفص وقطع أوصاله حتى انفك أحد جوانبه.

تحركنا جميعا في صمت وسرعة.

~~~~

تحركنا جميعا في جنح الليل ووصلنا إلى الشاطئ من دروب مختصرة وأخرجنا مركبا خشبيا من مخبأ كان قد أعده يافد وسبريلا مسبقا وقبيل شروق الشمس أسرعنا في هبوطنا إلى مياه المحيط الباردة، كان الطقس رطبا والمياه هادئة لطيفة لا أعلم وجهتنا لكني أوليت ثقتي لصحبتي سبريلا ويافد أما الغريب الذي كان كظلي في كل مكان وقد ارتفعت ظنوني به أكثر فأكثر.

كنا نجدف ثلاثتنا بمشقة آملين في النجاة طيلة النهار ومر اليوم سريعا، لم نجد أي ارض قريبة، كانت المياه حولنا لا مفر منها، هبط الليل علينا كوليد جديد بين راحتي المحيط والأفق حتى اكتسى كل شبر بالظلام حينها لاحت لنا أضواء وشعلات خافتة بعيدة المنال تداعبها الأمواج في
~~~~

خجل، ظهر القمر كلؤلؤة بيضاء تنير صفحة المياة الزرقاء مدون عليه حروف اسمها كلما نظرت إليه، توجهنا نحو مصدر الضوء متعلقين بأدق وأقل فرص النجاة، وكلما اقتربنا منه وجدناه يبتعد عنا، كان الأمر محيرا ومرهقا كأنه سراب حقيقي.

طال الليل علينا ولم نجد مهربا منه، يئس الجميع غير سبريلا التي كانت دائما تدفعنا للتجديف وتشجعنا على المواصلة حتى التقينا قاربا آخر للصيد وطلبنا منه أن يساعدنا في الوصول لأقرب أرض مننا.

وبالفعل لقد تبعناه لمسافة قليلة كان هناك جزيرة مشجرة كالمحمية وصلنا لها وحينما نزلنا على شاطئها اقترح يافد أن نساعده في إخفاء القارب بتغطيته بورق وجذوع الأشجار.

قابلنا أحد السكان، لم يطلعنا على اسمه، كان يتحدث بنفس لغة قبيلة سبريلا فاستطاع يافد الحديث معه بسهولة وسأله عن خيمة للسكن وبعض الطعام، كان هناك أمر غريب أو بدا لي ذلك أنا فقط دون الباقين.

قادنا هذا الشخص في التوغل يبن الغابة لنجمع بعض الأشياء كجذوع الأشجار واللحاء والحبال حتى نصنع خيمة بسيطة، في اليوم التالي بدأ سكان الجزيرة -قبيلة فادوما- في الظهور لنا، رجال وأطفال اقتربوا منا للتعرف علينا، لقد انتبهت الآن، لم يكن هذا الشخص دليلنا صاحب هذا الاختلاف فقط.

كان الجميع متشابهون يحملون نفس العيب أو الميزة لا أعلم كيف أصنفها، كانت أيديهم وأرجلهم تحمل إصبعين فقط في كل طرف لتصبح

ثمانية أصابع فقط في المجمل مع غطاء جلدي طبيعي، أو بالأحرى كانت أيديهم تشبه مخلب السرطان وأقدامهم تشبه أقدام النعامة، فلا وجود للثلاث أصابع التي في منتصف اليد أو القدم والإصبعان الخارجيان منحنيان للداخل، تتعجب من مشيتهم البطيئة مع الطريقة الصعبة لإمساكهم بالأشياء، يا إلهي أهذا عقاب لهم أم حكمة لنا لنفهم إحدى النعم التي نغفل جميعنا عنها، لقد تذكرت حزني لاختفاء أحد أصابعي دون قدرتي على استعادته.

بينما كان الجميع هنا متشابهين كأنهم من نسل واحد، تذكرت ميوشكا الفتاة اللطيفة، كانت حين إذ في عمر يافد ورغم ما بإطرافها من عيب خلقي إلا أنها صاحبة طلة مريحة بوجه طفولي يشبه تلامس أشعة الشمس لأول تفتح لزهرة الأوركيد في أوج الربيع.

تعلقت الفتاة الصغيرة بفتاتي سبريلا عندما رأتها قرب الشاطئ وأخذا يمرحان سويا، حتى صارتا يتقابلان كثيرا، اعتقدت في بادئ الأمر أننا في أمان بسببها كانت تحب المكوث معنا طيلة الوقت كل يوم، كانت ذكية وتعلمت منا سريعا ما يمكننا أن نتواصل به سويا، لقد سمح لنا أهل القبيلة أن نعيش بجوارهم لكن دائما كانت نظراتهم نحونا مختلفة تسمنا بالغرابة والتعجب.

خيالات هنا وهناك، تحركات شيطانية أو لكائنات خفية لا أعلم ما هي، لقد رأيت آثارها فقط عندما تركت قضمات أفواهها الضخمة في جذوع الأشجار العالية على ارتفاع فوق الأربعة أمتار، لم يكفني خيالي أن أتصور شكل هذا الكائن الحي الذي استطاع قضم جذوع هذه الأشجار القوية ومن فوق هذا الارتفاع!

كانت الغابة أمامنا مباشرة، كنت أذهب إليها أنا وميوشكا بعض الوقت، أحببت الجلوس إلى إحدى أشجارها المخروطية الشكل، كانت هناك أرجوحة بدائية من حبلين طويلين وقطعة مستوية من لحاء الشجر، لقد اعتادت ميوشكا أن تلعب بها، وغالبا ما ركضت ميوشكا هناك خلف الأشجار مستمتعة بلعبة أشبه بالغميضة.

لقد حدث ذلك في أحد الأيام، كان الطقس هادئا، اختفت الشمس سريعا خلف السحب لدرجة أننا توغلنا بعيدا بين الأشجار. عندما انتهينا كانت هناك أرض جرداء خاوية كبيرة مقفرة وشجرة فريدة وهناك في الخلف مدخل كهف مظلم، كانت الشجرة بحد ذاتها مزعجة نوعا ما مع اللحاء الأسود وفروع جرداء مخيفة، كان الجذع يقف عاليا وسميكا وعريضا لا يمكن أن ترى ما يختفي خلفه مع بعض الالتواءات غير الطبيعية المتشابكة في الأعلى.

مجرد النظر إليها قد أصابني بالفزع، أصبح المحيط من حولنا صامتا ميتا، لا طيور تطير هناك، لا حشرات أيضا، الرياح تحبس الأنفاس تخرج من الكهف المظلم، حول الشجرة تنبعث رائحة غريبة كرائحة الخشب المتعفن والحيوانات الميتة.

أمسكت بيد ميوشكا وطلبت منها أن نبتعد فابتسمت في وجهي وأخبرتني أنها موافقة ثم أشارت لي بأخذ قسط قليل من الراحة لذا جلسنا نستند لهذه الشجرة.

يا إلهي لو كنت أعرف فقط ما أعرفه الآن، لكنت أجبرتها وحملتها لأرض القبيلة.

شعرت أننا انتظرنا لساعات حكت لي عن كل شيء، عن والديها وقبيلتها وعن أسطورة شكل أيديهم وأقدامهم الغريب، عن تحمسهم ليوم العيد واحتفالاتهم بملابسه المميزة، أخبرتني أنها تحب الألعاب وترغب في أشياء فريدة، تحلم بألعاب شيقة، مع صوت مفاجئ جعلنا نقفز على أقدامنا أثار في نفوسنا الرعب والخوف، سمعنا صراخا قويا من خلف الشجرة.

ببطء وحذر مع نظرة خائفة لبعضنا البعض تحركنا للبحث حولها ووجدنا هناك في قاعدة الشجرة اثنتين من دمى الفتيات اللطيفة بثوب مختلف واحدة باللون الأصفر والأخرى بلون السماء الصافية واثنتين من دمى الدببة الجميلة مع زوج من الكريات الصغيرة الحمراء اللامعة، أمعنا النظر حولنا في محاولة العثور على أي شخص، بحثنا جيدا لكننا كنا وحدنا، جمعت ميوشكا الألعاب رغم رفضي واندهاشي الشديد وذهبنا عائدين لخيمتنا.

يوما بعد يوم عادت ميوشكا إلى الشجرة ورفضت أنا الذهاب معها، كان الأمر مفزعا، لقد أخبرت سبريلا، عادت ميوشكا كل يوم مع أشياء أكثر فأكثر، حلوى، لعب، حلي، ملابس عصرية بقياسها السليم. يبدو أن أحدا لم يلاحظ ذلك، لقد كان الجميع مشغولون باقتراب عيد القبيلة السنوي.

في يوم من الأيام جاءت ميوشكا مع غضب من أمها عندما كانت ترفض العودة لهم ثم ركضت بعيدا عنا نحو الغابة، كنت أنا الوحيد على علم أين كانت تتجه.

تبعتها بهدوء في خلسة من خلال الأشجار العالية والضوء الوحيد الذي يرشدني كان ضوء القمر الذي يلقي بريقا على قمة أفرع الأشجار

العالية، كنت على حق، وصلنا قرب الشجرة، وقفت أمامها، كانت الرائحة قوية تشمئز منها أنوف الصقور في السماء.

لقد وقفت ميوشكا، اعتقدت أنها تتحدث إلى شخص ما لم أستطع رؤيته، كان الصوت لامرأة رقيق وغريب كصهيل الخيل، لكنني لم أستطع أن أميز كلماتها بدقة، كان صوت دقات قلبي أعلى بكثير ينفطر رعبا وهلعا.

توسلت ميوشكا إلى هذا الكائن لأخذها بعيدا، كان ذلك عندما استجمعت شجاعتي لأتقدم وأبعدها، تحركت نحوهما لأمسك بيد ميوشكا عندما سمعت صوت كسر وانشقاق الخشب، لم أكن سريعا بما يكفي، لقد انفلق الجذع الضخم وما خرج من أعماق الشجرة لم أنسَه أبدا.

لقد تجمدت مكاني وثبتت أقدامي في رعب محض، كنت أحدق بها، ظهر راسها من خلال فجوة في الجذع، لها شعر خضن متشابك حول وجه بلا عينين ولها أكتاف عظمية وقرون أما الأيدي التي سحبت ميوشكا كان لها مخلب طويل حاد، لم تكن ترتدي أي قماش لكن ذلك لم يؤدِّ إلا إلى زيادة بشاعتها، كان لها جلد فضفاض فوق إطار الهيكل العظمي، لونه أسود كنفس لون لحاء الشجرة الضخمة التي انتشر بها العفن في كل مكان بينما كان نصفها السفلي مختبئ في الجذع.

حاولت أن أتمسك بيد ميوشكا الصغيرة وأجرها نحوي فكان الأمر صعبا فعلا ومع كل خوفي كانت يداي ملطختين بالعرق وفقدت يد ميوشكا، سقطت على الأرض وعندما نظرت لهما كانت ميوشكا والمخلوق اختفيا بين لحاء الشجرة.

رأيت شيئا مظلما يتحرك نحوي من الكهف خلفي، كان الظلام يتغشاني وينتشر حولي ويحاول أخذي أيضا، لقد اندفعت وركضت بعيدا، أطلقت صراخا رهيبا كان مزيجا من صرخة الغضب والخوف والرعب والحزن.

أحسست بشيء يطاردني بين الأشجار، كانت الرؤية غير واضحة لكنني واصلت طريقي عائدا إلى خيمتي.

لم تصدق سبريلا ما سمعته مني.

لقد استدعينا الجميع وبدأوا عملية كبيرة للبحث في الغابة، لم نستطع العثور عليها.. كان الأمر غريبا جدا!

رفض أهل القبيلة تصديقي حتى بعد المراسم الجنائزية لميوشكا، ظل الجميع ينتظرونها.. انتظروها كثيرا. إن الانتظار أحد الأشياء التي تؤدي بالناس إلى الجنون، ينتظرون طيلة حياتهم.

ينتظرون الطعام، ينتظرون وقت النوم، ينتظرون وقت النهوض. ينتظرون الزواج، وينتظرون الطلاق. ينتظرون هبوب الرياح وينتظرون هدوئها، ينتظرون النهار وينتظرون الليل. ينتظرون هطول الأمطار وينتظرون توقفها، ينتظرون الحياة وينتظرون الموت. ينتظرون كل شيء وينتظرون اللاشيء.

أردت الانتظار معهم لكن طبيعتي تأبى ذلك، كان شوقي نحو الانتقام أشد لبراءة الصغيرة المفقودة. طلبت من يافد المعاونة، لقد علمني أن أصنع سلاح القطع بطريقة بسيطة، لم يأخذ منا الأمر الكثير من الوقت

عندما جهزنا أدواتنا، عدت إلى تلك الشجرة في النهار مع منشار كبير في يدي أود أن أتأكد من أن أحدا لن يلقى نفس مصير ميوشكا الرقيقة.

وعلي مدى الأسابيع القليلة التالية أكملت العمل الذي كان شاقا ومجهدا لكنني قطعتها وأضرمت النار بها، لقد كنت أحمقا لمرة أخرى بالتأكيد.

أتمنى لو أن الأمر انتهى لذلك الحد، لقد أطلقت صرخة الوحش، سمعتها في ذات الليلة التي أحرقت فيها الشجرة وهناك في مقدمة الغابة أراه يتأملني من خلف الأشجار الأمامية بعينين حمراوتين كالأحجار النارية، إنني من خلال تدمير وحرق الشجرة أنا فقط أزلت قيوده، أطلقت سراحه، لقد وجد طريقة في الاقتراب من الجميع أكثر! وعلي مدى الأيام القليلة التالية اختفى رهط من بنات القرية الصغار، لقد دب الفزع في قلوب الجميع عندما لازمت النساء والأطفال خيامهم، أقام الرجال نوبات حراسة مسلحة متواصلة حول أرض القبيلة، وحائطا متراكما من جذوع الأشجار المقطوعة في طريق الغابة.

كان نهارا غائما يمتلئ بالرياح الشديدة التي تطلق صافراتها عبر شقوق الأشجار الاستوائية في كل مكان من حولنا، كان الصوت مخيفا لأهل القبيلة ذاتهم، كانت الرياح قوية بما يكفي لتقتلع خيامهم حتى أنهم أوقفوا أعمالهم، تخيلت أن حياتهم القاسية في هذه الجزر المنعزلة عن المدنية والحضارة ستساعدهم على تحمل كل قسوة الطبيعة.

لم يكن الأمر بتلك البساطة، هناك دائما حد ما للتحمل البشري، جميعنا كذلك منذ بدء الخليقة، كان البشر يهابون كل ما هو أعلى من قدراتهم،

يجلونـه ويقدسـونه، يقربـون لـه القـرابين اتقـاءً لشـره أو جلبًـا لمنغعـة كالأمطار والرزق.

لقد اجتمع رجال القبيلة على التضحية، قرروا التضحية بقربان بشري لدرء خطر هذا الوحش الخفي، كادت رأسي تطير حينما طلبوا منا يافد الطفل الصغير، عندما قالوا لي أن أسلمه لهم قبل منتصف الليل.

مرت الدقائق بين عيني كأسنان سمكة البيرانا الحادة تقطع أحبال أفكاري وتشوش بأزيزها قدرات عقلي، توقف الزمن من حولي.

لم يكن يملأ رأسي غير فكرة الهرب، لقد صنعت له جوالا صغيرا أنا وسبريلا، لقد ساعدتنا السيدة والدة ميوشكا، لم ترد أن يصبح مصير طفل آخر إلى المجهول بين براثن هذا الوحش الغريب، قامت بتهريبنا نحو مياه المحيط من داخل منزلها الملاصق للشاطئ.

استقلينا وقاربنا الصغير نحو المحيط في ستر الليل، وكم من أفعال ترتكب بين عينيك أيها الليل الأبكم.

نحو اللا شيء هربنا، لقد صرنا جميعا هاربين.

هاربين بشكل أو بآخر، هاربين من شيء ما، الخوف، الموت، المهانة، الإغواء، الاستعباد، أخطاء الماضي.

~~~~

من المفيد أن تتخفى بذات الزي المتداول حولك، كلما كان أهل القبيلة أكثر عددا كلما كان التخفي بينهم ميسورا.
~~~~

كان الأمر أشبه برحلة داخلية بين مجموعة جزر قريبة تقترب هذه الجزيرة أكثر لموقع جزيرة فادوما.

منذ وطأت أقدامنا هذه الجزيرة لم نقابل أحدا من الرجال، لقد انتابني الخوف حقا حتى إنني فكرت في العودة أدراجي مرة أخرى.

بينما تحدثت سبريلا إلى نساء القبيلة وقد علمت منهم تجمع رجال قبيلتهم دياجوا في أقصى الجزيرة.

تحركنا نحو هذا التجمع مع إحدى الفتيات الصغيرات تدلنا عليه، عندما وصلنا كان الأمر معقدا بالفعل تسللت بين الجموع لأراهم يعاقبون أحدا ما، قمت بتغطية بعض من وجهي وانتظرت لأفهم ما يحدث، كان هناك شاب يصرخ قائلا:

- أبي أبي اعتقني أتوسل إليك!!

لم يلتفت أحد لصراخ وهذيان (شوجد) حتى والده كبير القبيلة القاسي في نظر بعض أفراد القبيلة، الذي لم يرحم ابنه الوحيد ولم يغفر له خطيئته، لم يهتز له طرف أو يخالجه إحساس رقة أو يرتسم على وجهه الحجري أي تعبير ضعف وشفقة.

نظرات الحضور حائرة هنا وهناك بين صراخ الابن وأشجار المانجروف الشاهدة عليهم متحاشين جميعا أعين رئيسهم الجوفاء الغاضبة خوفا من بطشه.

يغلق الرجال على الابن القفص الحديدي الصغير بداخل قفص آخر أكبر منه حجما صنعا خصيصا مع فتحة لمزود الطعام والماء من الأعلى

وفتحات في الأسفل أعدت خصيصا مع حرصهم على منع دخول ضوء الشمس له.

انتهى هذا العرض الدرامي بصوت حاكم القرية قائلا: "ليعش هذا الضبع كرجل أو ليمت ملعونا".

في ظلام دامس بلا حراك لا أعلم نهايتي، يسمع الفراغ الضيق صوتي بين طيات فمي وتلافيف أمعائي بين أسوار محبسي وأمنيات شبابي الضائعة.

أنا شوجد القوي بكائي لن ينفعني، لن تصمد عيني طويلا، يمنحني الحب بعض الأمل الزائف، إلا أن الظلمة الحالكة تعدني بان تغرق قلبي وما يطويه بين تلابيبه الصغيرة، كما أغرقت الكثير من قبلي، تمد أرواحنا ببعض من صفاتها الخالدة، تهلكنا ببطء، تسلبنا عقولنا، تقتات نفوسنا، تقهرنا وتحتوينا احتواء المحبين، بل هي خلق فوق الأعالي تنتشر بين ثنايا كل شيء في الكون السقيم، حبوب اللقاح، أهداب النباتات، أفواه الحشرات بين تمدد السماء وترحال النجوم، تزداد الظلمة لتبتلع ما تبقى من شذرات أرواحنا، نفحات الأماني والأحلام، أنظر إليك أم تنظرين إليّ، أخاف منك أيتها الظلمة الحالكة، رفيق عدو دائم لي.

كما يحلو لهم سآكل وأشرب، كما يحلو لهم سأموت أيضا، لكني سأعيش كما يحلو لي رغما عنهم، حتى إن أنهوا حياتي ستظل روحي شاهدة على قسوتهم وسكوتهم، تحوم فوق مضجعي، مغسلي، مسار أقدامي فوق الأرض العشبية الباقية.

سوف لن أرى إنسانا بعد الآن، أذلك أفضل أم أن أعيش مع الظلام وحدي؟ تكون نهايتي بلا حواس تقريبا، سأكتشف قريبا معاناة المسجونين وذوي العاهات والمشوهين.

بدأ الصفير يتغشاني، لم أسمع بمثله من قبل، يا لها من معاناة سأتكبدها قبل الموت، سأجن حتما، يرتفع الدوي عاليا، يزيد بين الحين والآخر، سأموت قريبا من قلة النوم.

حرمت من نعم كثيرة، ضوء الشمس ونسيم البحر، ثورة الرياح العنيفة، ملمس الأشجار والرمال الناعمة، خرير الماء، ونقيق الضفادع، استبدلتها جميعا بدوي صفير يصم الأذان ويضني القلوب.

يسهل على الجميع تخيل الألم لكن يصعب عليهم دائما الإحساس به، ما بين ألم الروح وألم الجسد كما الصراع داخل قلب عصفور ما بين عاطفته في إطعام صغاره الجوعى وبين حمايتهم من قنص الجوارح.

مع الأيام بدأ جسدي يهترئ، يتساقط جلدي كما تتساقط أوراق الخريف من أشجارها المقيدة، في البداية كانت تؤلمني رائحتي كثيرا، تثير غثياني واشمئزازي، صارت ضمن آلامي المبرحة وفقدت حاسة الشم لديّ، أتذكر الآن كل شيء حدث لي سابقا كان محفور في شريط ذاكرتي مر بي وزاد من آلامي المبرحة.

جابهت ما لم يطقه الموتى ولو شعروا كيف تأكل الديدان أجسادهم لرفضوا الموت حينا من الدهر، إلا أنه لا حيلة لحبة رمل في الفرار من سطوة القدر.

انتهت مراسم العقاب العلني لشوجد بن موجاي، انتهت سريعا عندما غادر والده المكان متجها إلى عرينه بين الأشجار العالية، لقد تخطى الأمر بسهولة تحرك لمباشرة أعماله وشؤون القبيلة.

عندما دخل موجاي المسن حاكم قبيلة مواريا خيمته واجتمع له نساؤه لا فرق بين زوجة أو وليفة أو محظية كان عددهم كثير لأي رجل طبيعي، جلس واطمأن وطلب قدحا من مشروبهم النباتي المقدس (الساراي)، كانوا يعتقدون فيه أن تناوله يمنحهم القوة ضد قوى الطبيعة الغاضبة واحتسى بعضا منه ثم قال: "فلتحزرن جميعكن، لقد كانت رحمتي واسعة، كنت قد أمرت بقتل هذه الخائنة فقط دون أي تعذيب أو إهانة لها بعد الموت، لكني لن أسمح بأي خطأ منكم، سيكون العقاب مضاعفا ولن يرحمكم الموت مني، أما هذا الخنزير فقد استحق السجن الأبدي حتى الموت".

حاول شوجد القوي استخدام ساعديه مرارا وتكرارا في أن يضرب ويركل قفصه محاولا فتحه أو طلبا للإغاثة إلا أن جميع محاولاته باءت بالفشل، لقد تملك منه اليأس في النهاية، لقد أيقن بكل خلايا جسده أن والده لن يغفر له فعلته ولن يخرجه من محبسه، انطلقت الفكرة في رأسه مدوية محددة، موعد وفاته العاجل، هنا ظهر صوت في الفراغ حوله منذ بضعة أشهر مضت أو قل أكثر من ذلك، لم يخترق أذنه أي صوت على الإطلاق، نبرة مختلفة، كان غريبا عنه، لم يسمعه كأفكاره أو أحلامه أو غير ذلك إنما صوت حقيقي رصين، صوت لا يمثله أو يمثل أي إنسان يعرفه، صوت غير بشري، ظل الصوت ينادي عليه باسمه تارة ويكرر كلمة الحياة تارة أخرى، استمر هذا الأمر لبضعة دقائق، لم يكن شوجد من النوع الذي يخاف أي شيء لا يعلم ماهيته.

ارتفع الصوت يقول لشوجد: "لا يسعني حزني على حالك، لم يلقَ أحد من الرجال قبلك هذا المصير الملعون، سيضيع شبابك قريبا ستموت ميتة الجيف هنا، حارب لتسترد حياتك لتعود لك حريتك".

رد شوجد: "أي حديث هذا الذي قلته وأي جنون هذا الذي تفكر به؟!".

قال الصوت: "الأمر معي بسيط أكثر مما تتخيل.. أما بدوني فلا مجال للهرب من سجنك الأبدي".

رد شوجد: "ومن تكون سوى مجرد صوت لخيالي المريض!".

قال الصوت: "أنا الكيان الوحيد الذي بيده أن يهبك حياة جديدة وسلطانا لا يزول".

- ما سمعنا ذلك إلا عن آلهة الشر في ثقافة الأولين.

- كنت معك منذ أن ولدت، رأيت فيك مرادي، سيفي العهد بيننا بكل أمانيك.

قال شوجد باستهزاء: "وماذا تطلب في المقابل؟ روحي؟ لن أوافق على هذا الاتفاق قطعا، إنها نهاية واحدة، الموت كعبد ذليل".

قال الصوت: "لقد أخطأت مرة أخرى بتسرعك، لن تفيدني روحك التعيسة في شيء، سأعيد لك حياتك وملكك مقابل أن أمتلك جميع نسلك إلى الأبد، سأترك لك بعضا من الوقت لتختار بين الموت البطيء أو الحياة كملك متوج".

- الاتفاق إذَنْ بسيط لا يستحق التفكير، فلتذهب ذريتي إلى الجحيم لأنعم أنا بالنعيم.

كتب الشيطان عهده الدموي على قطعة من جلد الخنزير مع بصمة دموية من يد شوجد.

انتقل الشيطان بين الصخور عبر الكهوف والأنفاق يوسوس ويفتن لهذه وتلك، أشعل الغيرة في قلب إحدى زوجات موجاي بينما أثار الحماسة والحب في قلب أخرى نحو شوجد، في ساعات قليلة كان اللقاء بين هاتين الزوجتين يباركه الشيطان يرتبن لقتل زوجهما، لقد أعدا السم لذلك تنتظر كل منهما دورها علها تفوز بهذا السبق العظيم.

وما هي سوى أيام قليلة ولت حتى أعلن كبار رجال القبيلة ذات صباح عن موت رئيسهم موجاي، وإعلان شوجد الابن الوحيد الزعيم الجديد وفقا لأعرافهم وتقاليدهم.

لقد خرج شوجد من محبسه الضيق شخصا مختلفا متوحشا نهما يسعى خلف الألم والأذى يقف خلفه الشيطان ذاته، استولى على كل ما كان يملك أبوه حتى نسائه استباحهم واستخدمهم لبث ذريته الشيطانية، لقد صار له من الأولاد الكثير، وسرعان ما شبوا ووصلوا لريعان شبابهم في زمن قصير، فكان المولود منهم يشب في أسبوع ما يشبه غيره في شهر، والطفل منهم يشب في شهر ما يشبه غيره في عام، فانطلقوا ليتزاوجوا هنا وهناك لينفثوا أبناء الشيطان، جيل شيطاني بمخالب خفية تنبت أسفل جلود أطرافهم، بدأت الاختلافات تظهر عليهم حيث صاروا يملكون من القوة الكثير ومن الشذوذ أكثر حتى نسائهم امتلكن أرحاما تنبت أجنة إبليسية، تحولت عظامهم إلى صخور يابسة، تورمت

وانتفخت عبر جلودهم، باتوا وقد تبدلت عظامهم وملأت الصخور أجسادهم وانطفأ نور أعينهم يهيمون عبر الوادي نحو الكهوف ليتواروا فيها عن أعين الجميع يتناسلون سويا، حتى شوجد كبيرهم لم يستطع أن يحرك ساكنا أو أن يبدل ويغير الأمر، أصبح جسده شاهدا على فعلته الشنعاء، نبذهم الجميع، رفضوا أن يقربوهم أو يخالطوهم، ليخترقهم سهم الزمن ويكون مصيرهم الهلاك جميعا.

تواريت عن الجميع، لقد ضاق عقلي بما شاهدت ألما، لن أجد هنا ما يعينني، يجب أن أنتقل لجزيرة أخرى بحثا عن وسيلة اتصال، بدأ اليأس يدب بين أوصالي، كان الأمر أشبه بوقوعي في المحيط مرة أخرى.

جلست بين الأشجار المخروطية أبحث في خريطة المنطقة عن وجهتي المقبلة، لم أكن أعلم طريقي، أرهقني الاشتياق لوطني، للعودة إلى المدنية والحضارة، لمسكني النظيف والمياه الدافئة والشراشف النظيفة، راودني شعور الندم على اختياري، رغم تذكري آلامي عندما اختفى أحد أصابع يدي.

يد حانية تربت على كتفي تنقل لي الطمأنينة، لم تكن سوى سبريلا تشعر بي وتشاركني حزني وتهون عليّ، أشارت لي بيدها الأخرى على مسار في الخريطة نحو جزيرة ما، إنها وجهتنا المقبلة، أسرت لي ببعض الكلمات وحاولت بصعوبة أن تشرح لي: لقد ساعدها رجل مسن من قبيلة فادوما كان يتنقل كصياد وتاجر بين تلك الجزر.

قالت: "هذه أقرب جزيرة لنا في مسارنا نحو اليابسة، إنها الجزيرة التي تقطنها قبيلة الكارا، يقتاتون من الرعي والزراعة وأكل ما تخرجه الطبيعة لهم".

لقد أنقذتني كالعادة من حيرتي، كلما مر الوقت أحسست بأشياء تميزها أكثر مما توقعت عنها.

كنت حريصا هذه المرة، اخترت أن نهبط على الجزيرة في جنح الليل حتى لا يعلم بوجودنا أحد، وهناك بقرب الشاطئ في كهف صغير اخترنا أن نضع أشياءنا به مع قاربنا الصغير واتفقنا أن نبدأ في البحث عند الصباح على وسيلة للتواصل مع العالم أو أي شخص يساعدنا غير ذلك.

في اليوم التالي بينما كنا نسير في الغابة وجدنا حينها بضعة فتيان صغار يلعبون بين الأشجار، وقفت حينها أنظر إليهم بتعجب ودهشة لقد كن يشبهن الأشجار بطريقة ما، لقد كانت أيديهم وأرجلهم كأفرع الأشجار الصغيرة الخشبية البنية اللون، انتقلت بنظري نحو سبريلا مشيرا بيدي لهم مع ابتسامة بلهاء قالت هي حينها: "إنهم أبناء قبيلة الشجرة التي اشتهر رجالها بهذه الأطراف الطبيعية التي تشبه فروع الأشجار".

كان أحدهم يدعى مودايا يتحدث بلهجة سبريلا، لقد تبادلنا النظرات عن بعد، أعتقد أني لم أنل إعجابه، صرخ في أقرانه بصوت عصبي كأنه قائدهم ثم تحركوا مبتعدين عن طريقنا.

لم أفهم الأمر، قالت إن موداياً قد خاف من شيء ما.

أردت أن أتبعه حينما ركض بعيدا معهم وسط الأدغال المحيطة بنا إلا أن سبريلا قد منعتني، كانت تعلم شيئا ولم تستطع أن تخبرني إياه.

قالت لي سبريلا بين حديثها: "إننا نحمل بين حاجياتنا شيئا خاف منه الفتى مما دفعه للهرب بعيدا عنا ولا يجب أن نتبعه".

بالطبع لم أفهم ماذا كانت تقصد حينها، هي نفسها لم تعلم الشيء الذي أخاف موداياً.

طلبت مني أن ننتقل خارج هذه الجزيرة قبل أن يعود موداياً مرة أخرى ولن تكون العواقب هذه المرة جيدة.

بحلول الليل بدأنا نتجهز لرحلتنا المقبلة لكن القدر لم يهبنا تلك الفرصة، لقد وقعنا جميعا في الأسر، شعرت أن الأشجار تتحرك صوبنا مكونة دائرة مغلقة، لم أتبين أشكالهم في ظلام الغابة، لم أستطع أن أفرق بين رجال القبيلة وأشجارها الاستوائية، كانوا يحملون رماحا مدببة تشع أنصالها كمرآة تعكس ضوء القمر المتفرج علينا من فوق عليائه.

لقد أمسكوا بنا وقيدونا، قاموا بتقييد أيدينا في أرجلنا وعلقونا في جذوع أشجار محمولة على أكتافهم وساروا بنا نحو مخيمنا ثم قام أحدهم وكان صغير القامة بتفتيش ما نحمله من أشياء. كنت أنظر لسبريلا لأستوضح الأمر، اعتقدت أنهم بحثوا عن أسلحة ما، لقد كانوا يخافون منا، بدأوا بحقائبنا وكانت حقيبة الغريب هي الأخيرة وعندما فتحها الرجل وجد فيها صندوقا خشبيا به غرض غريب، اهتز الرجل حين رآه وصرخ عاليا، تجمع الرجال لرؤية الصندوق الخشبي ثم حملوه فوق رؤوسهم

وأخذوا يصيحون ويهللون، لم يجدوا معنا ما يخيفهم، لكنهم أجبرونا على أن نرحل من جزيرتهم.

أخرجنا رفيقنا قارب الأحلام إلى صفحة المياه التي كانت هادئة لطيفة.

تركت لها قيادتنا هذه المرة، لقد كنت أثق في اختيارها رغم معارضة الغريب لي دائما، كان شعاع الفجر قد اقترب من البزوغ.

~~~~

إنه أحد أيام الصيف الحارق يشوبه لهيب الشمس الحارقة ورطوبة المحيط، هناك حيث يلتقي أغسطس الساخن مع فاكهة رامبوتان الاستوائية وحشرة الخنفساء الفسفورية المضيئة.

وصلنا إلى جزيرة ذات رمال حمراء اللون كان سكانها يعرفون باسم قبيلة توراجا.

كانت هذه القبيلة ذات أصول إندونيسية، يحمل السكان في وجوههم الطيبة والألفة، لم يتوانوا عن مساعدتنا بكافة الطرق وإمدادنا بالطعام والملابس الجديدة.

تتسم نساؤهم بالطاعة والولاء والحب الشديد لأقاربهن رجال القبيلة، بينما يشعرن بحزن وألم شديدين عند وفاة أحدهم، لم تكتفِ نساء قبيلة توراجا بالألم النفسي تعبيرا عن حزنهم على فراق أقاربهم بل قمن بإيذاء أنفسهن تعبيرا عن حزنهم الشديد.
~~~~

كان قد توفي زوج السيدة أولايا هذا الأسبوع فقامت بقطع عقلة إصبعها الأوسط حزنا عليه، كان ذلك تقليدا متبعا لديهم في كل مرة تفقد فيها النساء أحد أقاربها تقوم بقطع جزء من أصابعها، كن يعتبرن أن أصابعهن باختلاف أشكالها ترمز إلى أعضاء الأسرة الرجال، وتعبر عن مدى تلاحمهم وتضامنهم، كانت تقاليدهم تحتم عند وفاة أحد الأفراد يجب قطع عقلة أصبع كرمز جسدي يظهر حجم الألم والفراغ اللذين خلفهما رحيله.

تقوم النساء بربط أصابع أيديهن من الجهة العليا لمدة ساعة بخيط رفيع لقتل الإحساس فيها تجهيزا لبترها ثم يقمن بطقس القطع أمام الجميع وحرق الجزء المقطوع ودفنه مع المتوفى.

غريب فعلا كانت هذه النساء تتخلى عن أصابعهن طوعا بينما كنت أبحث أنا عن إصبعي المختفي طيلة شهور.

لم أكن لأعتقد أني سأعاود الأحلام مرة أخرى في نفس الليلة التي رأيت فيها السيدة أولايا تقوم بقطع إصبعها، بالطبع كانت أحلامي سيئة هذه المرة، وفي اليوم التالي رأيت سبريلا في حلمي، لقد توغلت في عقلها وروحها، لقد أحسست بالحب الحقيقي لأول مرة معها، كانت تراودني أحلام كثيرة منذ أول ليلة في هذه الجزيرة، لم أمر بتلك الحالة قبل ذلك، كنت أرى في أحلامي سبريلا وهي نائمة ثم أقتحم عقلها وأتوغل داخله لأرى ما تحلم به هي أيضا.

كان الأمر مربكا في البداية لم أفهم ما يعنيه ذلك، بقدر تعجبي من قيام أمهات القبيلة بقضم الأصابع الصغيرة لمواليدهن الجدد، كي يبعدن عنهم شبح الموت، يعتقدن أن هذه العادة تطيل عمر المولود.

بعد خمسة أيام كان صباح قاتم بدون شمس أو سحب، استيقظت سبريلا بوجه مختلف يعلوه الخوف والضيق.

- حبيبتي ماذا بكِ لماذا أرى وجهكِ يشوبه الحزن؟

حاولت هي التملص من الإجابة على سؤالي:

- ماذا سنفعل في الأيام المقبلة؟

- سبريلا لن أقوم بأي خطوة قدم من هنا قبل أن أزيل عنكِ ما يحزنكِ.
- لقد حلمت بشيء مفزع ليلة أمس، لقد رأيت جمعا من الجثث يتحرك نحو هذه القرية، كنت أقف على قارعة الطريق لا أستطيع الحركة، لم يكن لدي سوى تغطية عيني بكلتا يدي.. كنت خائفة جدا..

لم أستطع أن أنطق بغير: "لن يصيبكِ مكروه ما دمتي معي"، لقد مددت يدي نحوها لأحتضنها ممتصا كل مخاوفها وضيقها، بينما يعتصر قلبي الرعب، لقد رأيت ما حكته في حلمها! لم أستطع أن أبوح طبعا، كنت أقف فوق ربوة مرتفعة وكانت هي أمامي خائفة ترتجف، لم أكن أدري ما السبب، إلا عندما شاهدت رجالا ونساء يتحركون في اتجاه واحد نحو طرقات القرية، كان حلما مرعبا بما يكفي، كانوا كلهم من الموتى يعلو ملابسهم غبار المقابر.

لم يكن ذلك الحلم الأول أو الأخير، لقد هاجمتنا الأحلام نحن الأربعة أنا والغريب وسبريلا ويافد.

كان شهر أغسطس يقترب من نهايته لقد تجمع سكان القبيلة جميعهم يحملون معهم ملابس جديدة في حفل كبير يمتلئ بالورود والروائح العطرة وماء الغسل المقدس.

في نهار يوم جديد ذهبت سبريلا ويافد ليقوما بإحضار احتياجاتنا اليومية لقد شاهدا الجميع يجتمع في ساحة وسط القرية كان هناك شيء ما غامض عاد يافد ليخبرنا بمسيرهم نحو المقابر في أطراف الجزيرة.

تبعناهم جميعا، وعندما وصلوا هناك بدأوا طقسهم المخيف، لقد تخطى ذلك كل معقول! يا للهول لقد بدأوا في إخراج موتاهم من القبور! كانت الجثث محنطة بملابس بالية وتحركوا بهم عائدين نحو القرية مرة أخرى وتوقفت كل عائلة أمام منزلها، ثم أخذ الرجال يحضرون جثث موتاهم للغسل بالماء المقدس في قدور خاصة ويلبسونهم الملابس الجديدة ويضعون لهم المساحيق والروائح المعطرة في مشهد تراجيدي مخيف، وعندما انتهى الجميع تحركوا بهم أمامنا في رحلة من أمام منازلهم حول القرية في الأماكن التي اعتادوا أن يتواجدوا فيها أثناء حياتهم.. استغرق ذلك طيلة يوم كامل ثم قاموا بإصلاح توابيتهم أو استبدال التالف منها بأخرى جديدة وإعادتهم لمرقدهم مرة أخرى تحت التراب.

إنه طقس (ماينين) كما يطلقون عليه، يتذكرون موتاهم بالمحبة والود، يقدمون لهم الهدايا التي تدفن معهم، حتى الصغار والأطفال كانت الأمهات تخرج جثثهم ليجالسوهم ويتذكرون حياتهم الماضية سويا.

كنا مشدوهي الأفواه مسمري الرؤوس ننظر لهم في تعجب دون أن نقوم بأي خطأ يفسد بهجتهم، إنها عادات انتقلت عبر آلاف السنيين يمارسونها باستمرار.

بدأت الكوابيس تنتابنا طيلة الليالي التالية، لم نجد منها مهربا، لم يكن هذا الاحتفال بجثث الموتى فقط لقد كانت الأرواح تحوم حولنا طيلة الوقت.

كنا نسمع ما يرويه حكماء القبيلة عن أرواح موتاهم التي تنتقل إلى الخنفساء الفسفورية وكلما انتقل أحد الأرواح لها تحولت إلى خنفساء مضيئة تراها تصطف على طول الشاطئ وفوق الأشجار الصغيرة لمسافة كبيرة تتجاوز الكيلومتر تمتع إضاءتها الناظرين إليها في مشهد رائع الجمال لا مثيل له.

انهالت الكوابيس تقتحم عقلي، بدأت أخرج فزعا كل ليلة أتفوه بأحاديث لا معنى لها، تترائى لي أشياء غريبة صرت أسمع أصواتا غير موجودة طيلة الوقت، لم أكن بحالة طيبة، لقد توقفت عن أكل الطعام والاستحمام ومساعدتهم ومنعت نفسي من أي شيء آخر، كنت أقول للجميع من حولي إنني شخص ميت، جثة تتحرك فوق الأرض يجب أن يقوموا بدفني في مقابرهم.

بدأت أتعرق من الظلام، كرهت الليالي الحالكة، بدأ كل من حولي ينظرون لي نظرات مريبة الواحد تلو الآخر، لقد بدأ بهم الحال أن يسرقوا طعامي، لم يعيروني أي تقدير أو قيمة! كنت أستيقظ طوال الليل خوفا منهم، رأيتهم يخفون سكاكينهم أسفل فرشهم، كانوا يتجهزون لقتلي في أي وقت، تخوفت من النوم بجوارهم، كنت أخرج إلى العراء بجوار الشاطئ نهارا أستظل بالكثير من أوراق اللوز الاستوائي هربا من أشعة أعينهم ولهيب الشمس الحارقة.

صرت أصنع طعامي وحدي، تجنبت الجميع، حتى سبريلا لم أعد أثق بها، لقد أخفت عني سرا لا أعلمه.

ذهبت كل نهار نحو الشاطئ مع دفتر صغير وقلم جلبتهما من إحدى الجزر التي مررنا بها، مارست عادتي القديمة، كتبت استغاثاتي، أحلامي، خوفي، ورهبتي مع توقيعي وأرسلتها عبر المحيط قد تصل إلى إحدى المدن بل قد يكون حامل الرسالة كريما معي ليحملها نحو وطني الذي أثق في إحساسه بألم الفراق نحو غيابي كالأم الثكلى.

حينما يسري الإرهاق بجسدي أستلقي ملتحفا بالأشجار الآمنة.

سمعت خطوات تقترب نحوي فرفعت رأسي ونظرت بعيني في حركة دائرية سريعة كان الغريب يسير نحوي.

سحبت سكيني بين يدي وصرخت قائلا: "انتظر مكانك لا تقترب**!**".

- حاجتك إليّ أقوى من حاجتي أن أؤذيك.

- وما حاجتي إليك يا هذا**؟!**

- أن تعود إلى وطنك.

- كيف ستعيدني إلى وطني أيها الأخرق**!** فلتتركني وشأني وتعود أدراجك.

- لن أتركك ما حييت يا أسيمار.

ونظر إليّ بعينيه الحادتين ويتمتم: "أنا هو أنت... أنا هو أنت يا أسيمار".

وأكمل طريقه نحو الشاطئ حتى اقترب من مياه المحيط وجلس القرفصاء وهو ينفث بوقاحة دخان سيجاره اليدوي الذي كان يصنعه من ملفوف جلود الجرذان بداخله لحاء نبتة عطرية تفوح منها رائحة مخدر الكوكا نحو الأفق.

شعرت بإحساس غريب، أشياء كثيرة غير مفهومة، أعني في تلك القبيلة من قتل زوجة الرجل ذو الوجهين؟ هل سبريلا تحبني فعلا؟ هل هناك رب؟ أين اختفى طاقم السفينة؟ حديث الغريب؟ الكثير من الأشياء تؤرقني..!

في اليوم التالي كنت أجلس بقرب إحدى الأشجار العالية، نظرت نحو الأفق محاولا أن أرسم أشياء من ذاكرتي، ظهرت سبريلا من خلف إحدى الأشجار هناك واقتربت مني ببطء وبراءة حتى وقفت بجواري وقالت: "لم أكن لأتركك وأنت بين براثن الخوف، أعتقد أن الأرواح الشريرة قد أضرتك، ذهبت لأتوسل إلى روحانية القبيلة كي تساعدك وتهبك الروح الطيبة، وقد أعطتني هذه المرآة لتنظر فيها نحو ماضيك ليتحرك الأمل والأماني بين أضلعك".

- لا أري غير ضائع بين الأدغال الاستوائية..

- تعلمتَ فيها الكثير والكثير، إن الحياة لا تعطي دروسا مجانية، هيا بنا لنرى ما لا يمكن أن تراه في أي مكان آخر من العالم.

أمسكت سبريلا بيدي بطريقة لم أحسها سابقا.. قمت معها وتحركنا في مسار جديد بين أكواخ القرية، كان يتجه بنا إلى ربوة عالية تعلوها ثلاثة أكواخ متماثلة لها ثلاثة أبواب متشابهة.

قالت لي: "هذه هي أكواخ القدر وعليك أن تختار فيما بينها ليتحدد مصيرنا القادم سويا".

- لا أؤمن بهذه الأشياء.

- أنا أثق بها.. أريد منك أن تختار لي قبل أن نكمل رحلتنا سويا.

أردت أن أنهي هذا الموقف لأعود لمخدعي قرب الشاطئ فاتجهت نحو الباب اليمين وفتحته لم يكن هناك شيء غير الفضاء والنجوم ومادة سوداء مظلمة.

التفتتُ خلفي لأجد سبريلا تهرب مسرعة نحو اليمين في طريق لا أعلمها فتبعتها، حاولت أن أصل لها رغم إرهاقي الشديد، لم أكن منتظما في طعامي للأيام الماضية، شعرت بجوع فجأة لم أشعر به من قبل، وهنت أرجلي وخارت قواي، أحسست بجسدي يرتطم بعشب الغابة الندي، هجم السحاب الأبيض سريعا على الغابة الخضراء وتحول كل شيء من حولي إلى أبيض كبلورة ثلج لا نهاية لباطنها.

لم تستطع سبريلا أن تحملني وحدها فاستعانت ببعض رجال القبيلة، لقد حملوني إلى روحانية القبيلة. كان المكان مليء بالأبخرة المعطرة، أفقت مما كنت فيه على وقع طبول الرجال يعتمرون أوجها مصنوعة من الأخشاب محفورة بأشكال غير آدمية وأصوات تراتيل المرأة الروحانية، كان الأمر أشبه بجلسة علاج طبي، كان قلبي يدق سريعا، لم يكن خوفا

بالشكل المعروف، لم أستطع أن أفسر ما يحدث لي، لقد شعرت بأن هناك كائنان يتصارعان في داخلي، شعرت بحمى شديدة تنتابني لكني لم أستطع أن أحرك جسدي.

انتهى الجميع من هذا الطقس العجيب ثم نقلوني على حاملة جلدية مريحة بينما كانت سبريلا تسير معي حتى وصلنا إلى خيمتنا ثم ناولتني سبريلا جرعة من شراب بارد قرمزي اللون كان مذاقه كالدم، لم أشعر بشيء بعدها، مضى الوقت سريعا حتى بدأت سهام ضياء الصباح تخترق قبة الليل من حولنا.

انتظرت حتى استيقظت سبريلا والجميع، طلبت منهم أن يساعدوني في تجهيز قاربنا للمغادرة لن أتحمل البقاء حتى الليل في هذه الجزيرة.

~~~~

انتقلنا عبر الغابات المطيرة بين المستنقعات الضحلة، كانت الطرق سيئة للغاية، هاجمني الندم طيلة الطريق، ليتني لم أتخذ رأي يافد سبيلا، وصلنا أرض قبيلة بابوا، سنضطر إلى المكوث هنا طيلة الشهور التالية حتى انتهاء موسم الأمطار الموسمية.

كانت تعيش فوق المرتفعات الشاهقة لمقاطعة البابوا ذات التضاريس القاسية هربا من هطول الأمطار، وكانوا يستخدمون أقنعة طينية مرعبة الشكل لترويع أعدائهم وإرضاء لمعبوداتهم حسب ما يعتقدون.
~~~~

لا أعلم كيف أقص عليكم هذه الوريقة التي لم أستطع أن أصدق ما كتب بها رغم أني عايشته بنفسي وشاهدته بعيني.. لقد كتبتها وألقيتها في الماء سريعا لأنها تثير غثياني.

إن هذه القبيلة لها الكثير من الطقوس القديمة التي تقوم خلالها العائلة بأكل لحم المتوفى من أقاربهم، بغرض تكريمه، والاستفادة من حكمته في الحياة كما يعتقدون، والتي تنتقل لهم من خلال أكل جسده.

فعندما يموت أحد الرجال يجتمع الجميع حوله في طقس جنائزي ويتحدثون عنه وعن صفاته الحسنة، ويبدأون بضرب رؤوسهم وإطلاق أصوات مرعبة لترهب الأرواح الشريرة لتهرب من المكان وتنطلق النساء به إلى المذبح ومكان الطبخ ويبدأن في مراسم الدفن العجيبة، يقمن بتجهيز الميت بفصل يديه ورأسه ورجليه عن جسده وتقطيع جسده إلى أجزاء صغيرة كلحم وشوي هذه الأجزاء، واختيار باقي الأعضاء كالقلب والكبد والكلى والمخ وهي أهم شيء في جسد المتوفى.

ثم يقمن بكسر الجمجمة وتعليقها في المنزل تذكرا وتكريما له.

وبعد شواء اللحم يقدم لحم المتوفى في صورة طبيعية على الحساء ثم يعطى لأبناء المتوفى، أطفاله وزوجته، وتجتمع النساء والأطفال من أقارب المتوفى على مائدة الطعام في أكل لحم الميت.

أما المخ فيكون من نصيب زوجته فقط.

يعشق أفراد قبائل البابوا اللحم البشري، كان سهل الهضم تستسيغه أفواههم، كنت سمعت ما قالته إحدى نسائهم لسبريلا إن طعم اللحم البشري أشبه بطعم البطاطا المشوية.

يقينا إني حينما سمعت ذلك لن أقرب من البطاطا مرة أخرى.

كانوا يعتقدون أيضا أن الروح تظل هائمة حتى ينتهي طقس الإطعام، وبعد انتهاء المائدة تقوم النساء بجمع العظام وطحنها، وخلطها بالحساء، لتشرب منه كل القبيلة، وحينها تكون الروح وصلت لمستقرها في السماء.

لعمري إن هذه المعتقدات لشيء عجيب.

لم تنتهِ رسائلي بعد فهناك بين رسائل الأحلام ودنيا الواقع الكثير من المعاناة والألم والشغف والفضول والنهايات الصادمة، تهيم زجاجات أوراق رسائلي عبر مياه المحيط في أنحاء العالم تطوف أرجاء المعمورة والخراب على حد سواء.

~~~~

بين حديقة المستشفى المغطاة بالشجيرات المتشابكة الرقيقة وقاعة الاستقبال جلس بعض المرضى في انتظار الممرضة التي سترافقهم لتأخذهم للغرف المخصصة للكشف عليهم، الأمر ميسر على الجميع هنا مع الإمكانيات المرتفعة والتنظيم، ينتظر أقارب المرضى في حديقة منفصلة يتبادلون الأحاديث وتمتزج أصواتهم في خلفية موسيقى هادئة غربية الأصل تطرب لها قلوب السامعين.
~~~~

بينما كانت الساعة تشير إلى قرب السادسة بعد الغروب، انتشر العاملون والأطقم الطبية هنا وهناك دائبين على العمل وراحة رواد المستشفى ونزلائها.

وسط ذلك الطقس الودود تجلس رنيم أسن ذات التسعة وعشرين ربيعا على يمين أخيها الصغير ليمو ينتظران فتح موعد الزيارة.

لقد تخلت رنيم عن عملها بالصحافة لتقوم بتربية أبنائها الصغار وتحمل مسئوليتهم الكاملة، كما أنها لم تكن بالكفائة المرجوة منها ولم تحقق لنفسها أي مكاسب من جراء عملها، وتنقصها الإمكانات التي يتمتع بها أخوها الصغير خاصة الذكاء الذي مكنه أن يحصل على شهادة عليا من إحدى الجامعات وهو لم يبلغ الحلم بعد، لم يكن الأخوان مختلفين في الشكل، لقد كانا نسخة واحدة مع فارق زمني ضئيل، يحملان شعرا أسودا قصيرا وأنفا طبيعيا مرتفعا وشحمة أذن ملتصقة مع زيادة في الطول عن المعدلات، لقد تشاركا أيضا الهدوء وألم الأسنان المتقطع.

"ربنا يباركلنا في عمره ويقومه بالسلامة زي كل مرة.. هو كبير العيلة ومانقدرش نستغني عنه" قالت رنيم هذه الكلمات يحدوها الأمل بينما تنظر إلى السماء.

رد ليمو: "فعلا أنا بحبه جدا وعاجبني تفكيره وكلامه، بس كل العيلة عارفين إنك أكتر واحدة بتحبيه فينا لأن هو اللي كان واخد باله منك بعد الحادثة".

قاطعهما صوت المذياع الداخلي عندما أعلن صوت أنثوي رقيق عن طلب حضور لأقارب السيد يافد أسيمار إلى غرفته في عجالة.

نظرت رنيم نظرة قصيرة مهزوزة إلى أخيها وقالت: "يلا بينا بسرعة أنا مش مطمنة المرة دي".

أسرعا متجهين نحو غرفة جدهما، في الانتظار هناك طبيبه الخاص، لقد طلب من الفتاة أن يحدثها على انفراد خارج الغرفة، انطلقا سويا بضع خطوات.

قال الطبيب: "طبعا السيد يافد ليه أهمية كبيرة عندنا كلنا لكن حالة السيد يافد غير مطمئنة مع سنه الكبير لازم يفضل تحت الملاحظة فترة كبيرة مش هقدر أسمحله بخروج قريب".

امتقع وجه رنيم وتغير لونه، لم تنطق لكنها استندت إلى الحائط لتستجمع قواها حتى استطاعت المشي مرة أخرى فتوجهت سريعا لرؤية جدها، قد يكون ذلك للمرة الأخيرة.

دخلت رنيم الغرفة، كان أخوها بجانب سرير يافد الطبي يمسك بيده، انتبه يافد فقد فتح عينيه، لقد أحس بها، يوليها اهتماما مختلفا منذ ميلادها بين يديه، نظر لها وابتسم ابتسامة عريضة قائلا: "مش عاوزك تزعلي لما أغيب هتشوفيني تاني بس في عالم تاني مش هنا".

اغرورقت عيني رنيم بالدموع وقالت: "لا يا جدي انت أقوى من أي حاجة لازم تقوم وتخليك معانا".

قال:

- قربي مني لازم أعرفك حاجة خطيرة.. هحكيلك السر اللي أمني عليه جدك أسيمار وهيفضل أمانة في رقبتك لحد ما توصلوا لمكانه وتلاقوه، مفيش وقت اسمعي اللي هقوله بتركيز واحفظيه كويس.

بدأت الحكاية لما جدك أسيمار في بداية حياته اشتغل في شركة شحن كبيرة على سفينة نقل، وكانت الشركة بتبعت سفنها في رحلات بعيدة، وفي رحلة من الرحلات دي كانت لإندونيسيا حصلت فيها أحداث عجيبة أوي، على وصف كلام جدك قال إنه قابل شخص تصرفاته غريبة كان زميله في السفينة كان صامت ومريب طول الوقت، طلعت السفينة وبعد فترة من الإبحار في البحر ولما مروا على الهند رافقهم من هناك راجل متخفي اعتقد أنه رجل أعمال من هيئته وبعد مدة صغيرة وهما في البحر حصل اللي مش ممكن حد يصدقه حتى ولا في أفلام الخيال العلمي.

كل طاقم السفينة اختفوا إلا الغريب، اختفوا بدون سابق إنذار أو أي مبرر، الشخص الغريب الوحيد اللي فضل ملازم جدك في كل مكان يروحه، وجدك الوحيد اللي بيشوفه وبيكلمه، وأنا عمري ما شوفته ولا حد تاني شافه ولا نعرف ليه وصف ولا اسم غير الاسم اللي أطلقه عليه جدك اسم "الغريب".

المهم فضلت السفينة ماشية بيهم لحد ما وقفت خالص في وسط المحيط، وبعدها جدك استخدم قوارب النجاة لحد ما وصل لأقرب جزيرة وهناك اتعرف على جدتك وحبها حب قوي ورجعها معاه هنا لما عرف طريق الرجوع واتجوزها وعاشوا هنا وبعد أول سنة اتولدت أنا في نفس البلد اللي عاش فيها جدك وهو صغير، جدك كان بيعتمد عليا في كل حاجة

من أول ما كبرت، وزاد اعتماده دا بعد وفاة ماما الله يرحمها، وبعدها بأسبوع واحد قالي السر الخطير دا واللي أمني عليه وأنا هقوله ليكي أمانة ووصية زي ما قولتلك.

عارفة الأسبوع دا أنا مش هنساه أبدا.. كان أول أسبوع في يوليو والحرارة كانت عالية، خرجنا سوا زي عادتنا وروحنا للشط في مكان لوحدنا، قعدنا قدام البحر، وقتها حسيت إن البحر شايفنا وسامعنا وحسيت بأمواجه كأنها ألسنة حيوانات مفترسة بتهجم على فريستها الضعيفة، وقتها اتكلم بنبرة حزن وقالي بالحرف: "انت كبرت كفاية علشان تعرف وتقدر تتحكم في نفسك إنك ما تقعش في الغلط.. وبعدين أنا مش هعيش ليك كتير ولازم السر اللي حافظت عليه أنا وأمك الله يرحمها تعرفه وتحافظ عليه بعدنا.

فاكر رحلة اندونيسيا اللي حكتلك عليها قبل كدا؟ رغم كل المآسي والمشاكل والخساير اللي طلعت بيها منها إلا إن هي فعلا سبب ثروتي وسعادتي بقية عمري.. هناك اتعرفت على والدتك وهناك لقيت آلة خطيرة أخفيتها طول عمري عن الكل الآلة دي اسمها أنتيكيثيرا، مدفونة في مكان سري، خليها مدفونة لحد ما يتولد اللي هيعرف يحل اللغز بتاعها ويستخدمها.

خلي بالك أنا عمري ما فكرت أستخدمها لخوفي منها بعد اللي شوفته بعيني ولأني مش عارف فايدتها إيه، لكن عارف ضررها الخطير، كمان خوفت أدمرها أحسن تجلب عليا مشاكل أنا مش قدها، ولأني مش عاوزها تقع فإيد شريرة فدفنتها، خلي بالك كويس اوعى تستخدمها بجهل لحسن تضيعك انت وكل اللي بتحبهم، كمان هتلاقي معاها دفتر

فيه كل اللي حصلي في الرحلة دي في صندوق خشب مقفول كويس دي وصيتي ليك لأني ممكن أموت في أي وقت.. خلي بالك كويس".

جدك يا رنيم كان راجل رباني بتجيله رؤى خير عن المستقبل وتنبأ لواحد من العيلة دي إنه هو اللي هيقدر يتعامل مع الآلة علشان كدا لازم نحافظ عليها لحد ما يتولد الشخص المطلوب ويوصلها، احنا مجرد حراس أمانة.

قالت رنيم: "دي حكاية عجيبة جدا يا جدي، طب وهيكون مين هو الشخص دا؟".

- الشخص دا، هيكون واحد من نسلك وهو هيوصل للسر من غير ما حد يعرفه، اوعي تقولي السر دا لأي حد يا بنتي خالص، عاهديني على كدا..".

أحست رنيم بأن جدها يودعها بطريقته الخاصة فقالت وهي ينفطر قلبها حزنا ممسكة بيده: "أعاهدك يا جدي".

انقشعت سحابة بيضاء عن عيني رنيم وانتبهت لصوت جرس ساعة الحائط الفضية الأثرية يدق طبلة أذنيها والتي اشترتها رنيم من أحد المزادات مع قطعة مقلدة للوحة (ليلة النجوم) للفنان فان جوخ متجاورتان على جدار غرفتها، لقد كانت تحلم بجدها، كان ذلك اللقاء في المستشفى قبل تسعة وثلاثين عاما قضاها جدها في الغيبوبة التي لم يفق منها منذ ذلك الحين، لم تنسَ رنيم هذا اليوم أبدا رغم مرور السنين التي حفرت بمعولها خطوطا عميقة في وجهها الطيب الرقيق وفوق وجنتيها

اللتين تحولتا إلى وردتين ذابلتين، لم تمنعها السنون التي أرهقتها عدا من رؤية جدها يافد وملامسة يده كل فترة كآخر مرة أمسكت بها وعاهدته على حفظ سر العائلة، افتقدت صوته قطعا، كادت تنساه رغم ذاكرتها القوية التي تحفظ كلماته الأخيرة كأنما حفرت في شريط ممغنط، استمرت في زيارتها له في المستشفى ورفضت بإصرار مدوٍ أي محاولة لفصل الأجهزة الطبية عنه منذ أن وقع فريسة الغيبوبة، اضطجعت الجدة رنيم على أريكتها الوثيرة مطلقة لذاكرتها العنان، بينما مدت يدها لتمسك بسلوتها الوحيدة، نظرت عبر وجه رفيقة عمرها فنجان قهوتها الممتلئ، عبرت منه إلى عالم موازٍ لترى فيه كل من تحب من أقاربها وأبنائها وأحفادها، كانت غرفتها هادئة معزولة الصوت تسبح في محيطها سفن كلمات أغاني فيروز بأشرعة مزدانة بثمار الكرز وأزهار الرمان.

طرقات متقطعة بصوت منخفض أيقظت باب غرفتها من سباته العميق لتعلن عن قدوم أحد أحبابها، انتبهت رنيم ببطء للطرقات نظرا لعمرها الطويل ثم أشارت بيدها لتقطع قلم ضوء أحمر رفيع فوق المنضدة بجوارها كان قد ومض مع صوت الطرقات.

عندما انفتح الباب ظهر خلفه شاب طويل نحيف هو (رافي) طبيب جراح ويحمل شهادة في الإلكترونيات الطبية وأحد أحفادها الكثر ثم أقبل ليقبل يدها قائلا: "ازيك يا جدتي وحشتيني جدا وعندي ليكي خبر هيفرحك أوي".

"قول يا حبيبي خير" ردت رنيم بصوتها الحنون.

- العلماء خلاص وصلوا لحل ممكن نتواصل بيه مع جدو يافد وبعدها ممكن نلاقي علاج لحالته.

هشرحلك أكتر.. في جهاز تواصل طبي اخترعوه بتقنية النانومتر حجمه واحد على مائة من حبة الأرز، الجهاز دا بنحقنه لمريض الغيبوبة في مجرى الدم علشان يوصل للمخ ومع بعض حقن المحفزات ساعتها نقدر نتواصل معاه إرسال واستقبال كأننا بنكلمه ونحاول نعالجه كمان علشان يفوق والموضوع آمن كتير واتجرب مع أكتر من حالة".

ردت الجدة رنيم بصوت يملؤه التفاؤل: "يا رب إن شاء الله العملية تنجح ونعرف نكلم جدو تاني، لازم أكون موجودة يوم العملية وأعرف النتايج وأكون أول واحدة تتكلم معاه لما يفوق".

قال رافي: "ماشي يا جدتي أكيد هخليكي في الصورة أنا همشي دلوقتي علشان أروح شغلي أشوفك على خير".

- استني أنا شوفتلك حلم جميل عن يوم فرحك، فيه عروسة زي القمر في مكان واسع كله خضرة ومليان معازيم كلهم فرحانين ليك أوي وكان في يوم شتا بس الجو مناسب وحلو.

- يااه يا جدتي الأحلام دي بقت موضة قديمة أوي، كل الناس دلوقتي بتشوف الإيلو، لأنه بيسعد أكتر وبيرفع المعنويات وبيقوي الذاكرة وبيتجنب الأحاسيس السيئة اللي كانت بتظهر في الأحلام والكوابيس، الإيلوسم هي التطور الطبيعي للأحلام اللي كانت غير واقعية وغير مفهومة.

- انت حكيتلي الكلام دا كتير قبل كده، بس أنا بحب أحلم طبيعي بدون مؤثرات، الأحلام اللي من غير معاد ولا ترتيب هي أجمل شيء ممكن يقدمه ليك عقلك.

- بس الإيلو صحي أكتر لأنك بتقدر تختار الأشخاص اللي بتحبهم والأحداث اللي عاوز تشوفها في نومك وبتغير في ترتيب الظروف من حواليك كأنك في تجربة عودة بالزمن للماضي أو سفر للمستقبل وبتشوف ردود الأفعال والنتايج اللي ممكن تحصلك دون أي ضرر ممكن يعود عليك أو عليهم ودايما النتائج بتكون صح، فاكرة يا جدتي العروسة اللي كنتوا مصممين عليها ولما الموضوع دخل في الرسميات استخدمنا الإيلو وكانت النتائج بتقول إننا بعد ما نخلف أطفال هيحصل بينا مشاكل كتير وجوازنا هيفشل؟

- انت قلت بلسانك أهو تجربة، مش معقول مفيش أي مقارنة بينها وبين الأحلام خالص ولا هتكون هي دليل على أي حاجة هتحصل في المستقبل.

- طيب يا جدتي أنا كدا هتأخر على شغلي هجيلك مرة تانية بقا.

- من صغرك وانت كدا كل ما تتزنق في مشكلة تتحجج وتهرب من الموقف.

في نهاية الأسبوع الجاري.

غرفة مستطيلة الشكل يجلس رافي في مقدمتها بجوار الدكتور شاهر كبير الجراحين، يطبق على رافي بعض التعجب والغضب.

قال الدكتور شاهر محاولا تهدئته: "يا رافي انت حضرت معانا العملية وكمبيوتر التواصل مع المريض كان أمامنا كلنا ومافيش أي شك إن في خطأ حصل، كل النتايج اللي أظهرها الكمبيوتر دي نتايج جدك السيد يافد، كون النتائج دي غير مطابقة لواقع الحالة دا موضوع يتم وضعه تحت المجهر للوقوف على أسبابه والبحث فيه، كمان النتائج اللي توصلنا ليها هتفيد البحث العلمي للعالم كله، احنا اخترقنا منطقة الذاكرة وقدرنا نسترجع أجزاء زمنية كبيرة فيها!".

قال رافي بغضب مكبوت: "انت متخيل يا دكتور حجم المشكلة اللي أنا بقيت فيها بين ضميري المهني اللي بيدفعني لإعلان النتيجة للكل وبين صلة الرحم اللي بتمنعني من هدم ثوابت العائلة، أنا مش قادر أتخيل نفسي بقول لأهلي كلهم إن الشخص اللي عشنا طول عمرنا معاه على إنه جدنا وكبير العائلة طلع كذاب ومختلق لحكاية مش حقيقية وإنه حتى لا يدين بالإسلام وكمان حكاية الأثر اللي مخبيينه دا، دي لوحدها تهمة، ازاي أقول المصيبة دي لجدتي بعد العمر دا كله، أنا كدا بقتلها بإيدي مستحيل دا يحصل".

- أنا رأيي إنك تصارحهم بالحقيقة، تعرف يا رافي الحقيقة دايما قاسية لكن بالإمكان إننا نفهمها ونحبها وهي تخلي اللي بيحبوها أحرار.

وقف رافي متحيرا وامتدت يده لتحية زميله الدكتور واستأذن منه طلبا للخروج متجها نحو مكتبه القابع في نفس البناية على الجهة الشرقية

منهـا حيـث تقـع غـرف المعـدات والأجهـزة الطبيـة الحديثـة والأجهـزة الإلكترونية وهي ما تخصص بها الشاب العنيد الدكتور رافي.

كان رافي يسرع الخطى متعجلا متلهفا، لقد كـان يخفـي شيئا مـا، دخـل غرفته وأغلق عليه من الداخل معلقا لافتـة صـغيرة كتـب عليهـا ممنـوع الإزعاج.

التف في حركة سريعة حول عقبه وعندما اطمأن لوجوده منفردا أشـعل سـيجارة وأخـذ منهـا قبلـة عصـبية تركـت آثـار أسـنانه الأماميـة حـول مؤخرتها الضعيفة، وأخرج من خزانته مغلفا مغلقا أصفر اللون يحوي ملفا غير مُعَنوَن، جلس خلف مكتبه ثم بدأ يقرأ ما بداخله باهتمام.

(تفريغ البيانات الواردة من عملية التواصل مع السيد يافد).

أخذ يقرأ بتركيز واهتمام بينما كانت أصابعه تداعب الصفحة الثالثة من التقرير حينما سمع طرقتين بأظافر ناعمة كخربشة قط صغير فوق بـاب غرفته تبعها صوت نسائي رقيق يقول: "دكتور رافي انت هنا؟".

بـالطبع غالبـه الارتبـاك والقلـق، لقد كـان بالفعل يعرف صـوت صـديقته المقربة الدكتورة سومي، بيد أنهـا قد لا تكون بمفردهـا، تحـرك مسـرعا ووضع المغلف في درج مكتبه وأغلقه وقام وفتح باب الغرفة.

بـدا رافـي مشـتت الـذهن عنـدما وجـد سـومي بمفردهـا فجـذبها مـن يـدها للـداخل بـدون أي كلمـة والتفت بعينيـه فـي الممـر الفـارغ ليطمـئن أنـه لا وجود لأحد هناك.

ثم أغلق الباب من الداخل وجلس خلف مكتبه.

وقال: "عرفتي فضيحة نتيجة اختبار السيد يافد؟".

ردت سومي: "مفيش فضايح خالص انت الوحيد اللي مكبر الموضوع، محدش في المكان هنا مهتم باللي حصل غيرك، اللي يهم الزملاء إن التجربة نجحت وقدروا يسيطروا على حالة المريض بدون مضاعفات، وبعدين انت إيه مش ملاحظ عليا أي تغيير خالص".

رد رافي متأملا سومي بحيرة: "تغيير إيه؟ اه الرجيم بدأ يبان عليكي".

- رجيم إيه ركز شوية أنا بتكلم على الستايل الجديد شعري والميكاب والأكسيسوريس.

جلست سومي برقة أمام مكتب رافي، كانت ذات قوام معتدل رغم قلة وزنها الملحوظ وصغر سنها، ترتدي معطفا طبيا أبيض خاصا مختلفا عن معطف المشفى الرسمي، كانت سومي تعشق الاختلاف والظهور فوق الجميع بملابس فذة الألوان ومشية متأنقة ورائحة عطر مصنوع خصيصا لها وبعض الحلي المتقنة يدويا تحمل فصوصها الحرف الأول من اسمها.

امتدت يد رافي المرتعشة ليشعل سيجارة أخرى رغم أنه لم ينهِ الأولى بعد وتركها تشتعل ببطء فوق منفضة السجائر كقلب سومي المسكين وابتسم قائلا: "اه تمام لا كدا أجمل بكتير".

ثم اتجه بجوار مكتبه إلى مكتبة صغيرة تحوي بعض المراجع العلمية الطبية والتقط أحد هذه المراجع متصفحا إياه وغاص بداخله غافلا عن

وجودها لبعض الوقت، حينما التفتت سومي برأسها للخلف لتنظر نحو هذا الكتاب الذي أخذ كامل انتباه رافي والتقطت الاسم بسهولة.

قالت: "انت رجعت تقرا النوعية دي من الأبحاث!؟ انت عارف إن منظمة الصحة العالمية منعتها ومنعت التجارب القائمة عليها لأن فيها انتهاك للخصوصية".

- بس المرة دي أنا قررت أجربها مع السيد يافد لأن طبعا محدش هيشتكي.

قفزت سومي من مقعدها في توتر: "انت ناوي على إيه! انت عارف إن تجربة زي دي لو اتكشفت هتهدد مستقبلك المهني وهيكون فيها مسألة قانونية من إدارة المستشفى وممكن توصل لفصل نهائي وشطب اسمك من جدول الأطباء العاملين أو تتحول لقضية فيها سجن".

- أنا مش بدور على مجد شخصي ولا مكسب علمي، أنا لازم أعرف جذوري وتاريخ عيلتي الحقيقي.

- التاريخ هيفيدك بإيه طالما مش هيتغير واتنسى وكل واحد عايش حياته طبيعي! انت بتنبش في مقبرة التاريخ وبتفتح على نفسك أبواب الجحيم!

- يعني مش هتساعديني يا سومي ومش هتقفي معايا زي ما طول عمرك بتعملي؟

- طبعا هقف معاك بحكم اللي بينا وخوفي عليك وهمنعك من أذية نفسك، همنعك من عمل التجربة دي!

سكت رافي لبعض الوقت ينظر نحو عيني سومي محاولا قراءة ما بين الحدقة السوداء وصفحة عينيها العسليتين وقال: "خلاص يا سومي أوعدك إني مش هأذي نفسي وهقولك على أي تطور في الأحداث".

مع نظرة سريعة في ساعة يدها قالت سومي: "أنا واثقة فيك طبعا.. مضطرة أخرج دلوقتي علشان الدوام بتاعي بدأ".

ثم خرجت سومي وأغلقت الباب خلفها بعد أن ألقت نظرة حنونة مطولة نحو رافي الذي من ثم عاد ليجلس على مكتبه وظل يقرأ في هذا البحث (سيكولوجيا بناء الإيلوسم المشتركة).

بعد مرور ساعة ونصف من خروج سومي اتجه رافي نحو سيارته واستقلها وخرج إلى جهة غير معلومة.

~~~~

قال رافي: "ألو أيوة يا سومي".

- أهلا أهلا بالرجل المهم مختفي عن الكل بقالك تلات أيام حتى أنا كمان، أخيرا افتكرتني، عامل إيه دلوقتي؟

- كويس الحمد لله، أنا عارف إنك وصلتي المستشفى من ساعتين اسمعيني كويس من غير ما تردي مفيش وقت أنا في غرفة يافد اظبطي ساعتك معايا الساعة دلوقتي واحدة ونص بعد نص الليل، أنا أخدت قرص الإيلو، الساعة اتنين بالظبط هبدأ التجربة وكل التجهيزات سليمة لازم تغطي عليا ماتخليش أي حد يدخل هنا، الساعة اتنين وتلت إذا ما طلبتكيش يبقى أنا دخلت غيبوبة ولازم تتصرفي وتعمليلي الإسعافات
~~~~

المعتادة لكن بقى لو حصلتلي مشكلة أكبر ابقي شوفي المرجع اللي سبتهولك في مكتبتي.

أطبقت سومي كف يدها فوق فمها تكتم صرخة تزداد مع كل كلمة في مكالمة حبيبها رافي، لم تستطع الرد سوى بالإيجاب، ظلت عيناها مشدوهة لا تعلم ماذا تفعل ولا يوجد وقت بالفعل لإثنائه عما يفعله ولا مجال لأن تتركه بدون مساعدة رغم ما تعلمه من عواقب جزائية وقانونية يمكن أن تصل لها بسبب مساعدته فقط.

أعد رافي كل شيء بمفرده.. لقد دخل خلسة مرتديا ملابس الأطباء إلى الغرفة، وبعد إنهاء مكالمته مع سومي شغل كاميرا داخلية لتسجيل كل شيء، استلقى رافي على سرير متحرك بجوار يافد وعمد لتوصيل بعض وصلات الأجهزة الطبية إلى يده واسترخى مغلقا عينيه منتظرا سريان مفعول الدواء إلى جسده بالكامل.

يقف رافي بين أشجار عالية، يظهر له على الجانب شاطئ عظيم تضربه مياه شاسعة تبدو وكأنها أحد المحيطات.

من بين الغابة ظهر له طفل صغير بملابس آسيوية قليلة وألقى عليه التحية بيده.

سأله رافي: "من أنت؟".

رد الصغير: "أنا يافد ألا تعرفني؟!".

- ولماذا نحن هنا؟

- أنا ولدت هنا، الحياة فيها وسط الغابة والمحيط كانت أسهل وأهدأ من المدنية، من غير ضغائن ولا مشاكل.

كنت كطفل متأثر أكثر بكل ما يحكيه أسيمار لنا أنا وسبريلا، كان بالنسبة لي بطل ظهر من المحيط حارب قوى الطبيعة وهزمها وتغلب على كل الصعاب وأنقذني من الموت، حفظت حكاياته بدون وعي كان دائما يحكي لنا عن حياته قبل أن يعمل في البحر، عائلته، مكان سكنه، حتى قصة زواج أبيه التركي الأصل من أمه واختفائهم في ظروف غامضة، عرفت على يده معلومات كثيرة عن العالم لم أكن أعرفها، علمنا العربية وتعاليم الإسلام لكن لم يفرض علينا أنا وأختي أن نعتنقه حتى بعد ما رجعنا مصر، كان يحب والده جدا والحكاية التي قالها لي عنه أذكرها حتى الآن بالكلمة، كان دوما يردد كلام والده السيد سليمان وهو يقول: "في الغالب يختار الصياد فريسته بعناية قبل الهجوم".

رأيتها أول مرة في ربيع عام ١٩٠٧ لقد كانت هي بشكل ما، لقد تخطت السن الحرجة، إنها تشعر بالندم لأنها بقيت مخلصة لرجل خائن لا يستحق كان زوجها في القريب، لقد تخلصت منه كما تنسل الشوكة من الصوف المبلول ولم يترك لها إلا المرارة والألم.

تتابع حياتها، تخوض ما لم تقربه من قبل، ما كان محرما عليها، أرادت العمل والاختلاط بالمجتمع، السفر والتبضع من أرقى الماركات، نظم الشعر ومداعبة الكمان، ملامسة الشروق فوق مياه البحر الحالمة، تجربة البواخر العائمة، معاقرة نسيم الحدائق الغناء في الربيع.

عندما يقترب عمرها من سن الغروب يتوقف بها الزمن لتختار مرة أخرى بين إحدى الخيارات الحاسمة، ما بين حريتها وأنوثتها الجوزائية.

في هذه اللحظة الحرجة تبدو الحياة التي مرقت خلفها مشكوكا فيها لكنها بالتأكيد تطوي الكثير من الندم والألم، لقد سرقت منها عن ضعف وقلة حيلة، أما الآن وقد امتلكت لجام فرسها الجامح، يطوي العالم طيا من حولها، يطلق زمجرته في وجه الغرباء المتطفلين والمخترقين.

إلا هو، لقد كان ذا سحر داخلي غريب، قابلته أول مرة في إحدى البواخر العائمة، اجتمعا على مائدة طعام أجبرت بالطبع على المكوث أمامه لمدة ليست بالقليلة، كان كأمير من أسرة ملكية يظهر الكثير من الرقي، لم يجازف بمحادثتي، فقط كان يوجه سهام نظراته لي عبر الأثير، لقد كان رصينا بشكل مبالغ فيه، أو قد يكون ذلك أسلوبه في الإيقاع بالحسناوت في شباكه.

كانت تشعر به يتواصل معها بشكل ما، كالعادة لم تعره انتباها بل لقد غادرت سريعا عندما أتيح لها ذلك، لم يكن هروبا ولكنها تستخدم دفاعاتها المعتادة.

لم تدرِ أنه تبعها إلى حيث الفندق الذي تسكنه لفترة الرحلة الخمسة أيام، لا تعلم كيف وصل قبلها إليه لقد أثار تعجبها بالفعل عندما وجدته في لوبي الفندق يقبع (كليث) ينتظر بثقة غنيمة حرب انتصر فيها مسبقا.

بالطبع لم يحدث بينهما حديث صوتي غير لغة العيون، أنهت هي هذا المشهد سريعا متجهة إلى غرفتها، لكن وجهه لم يفارق عينيها طيلة هذه الليلة، كان الأمر مسليا بغض النظر عن أي حسابات أخرى.

كان اليوم التالي هو اليوم الأخير قبل أن تنهي عطلتها وتعود أدراجها إلى منزلها، كانت مفاجأتها أكبر حينما وجدته ينتظرها على نفس الأريكة في أبهى حلة.

تحرك إليها مقتربا في هدوء متقدما بلباقة ثم قال: "أميرتي أنا أعلم أنه آخر يوم لك هنا فلتكرميني ببعض من وقتك الثمين".

لم أجبه في حينها بينما أظهرت ثباتا دون أي انفعال يذكر تحركت نحو المطعم لأتناول طعام الإفطار، ظننت أنه تبعني إلى هناك، وفي نظرة خاطفة حولي وجدته يجلس في إحدى الزوايا منفردا يرتشف كوبا من القهوة، أدركت أن نظرتي تلك كانت خطأ كبير حينما أومأ لي برأسه ليحييني.

ذهبت سريعا إلى غرفتي كعصفور يهرب من بين شرك كبير، انتظرت بها حتى مغيب الشمس دون حراك، نظرت عبر نافذتي إلى المجهول بينما يلتهب جوفي مع تحرك وجه الشمس نحو الأسفل أكثر فأكثر.

أردت الخروج من محبسي كطفل أرهقه الملل من لعبته القديمة، آثرت القيام بمغامرة ممتعة، اتصلت عبر الهاتف لحجز طاولة في أحد أرقى المطاعم مع فرقة موسيقية مشهورة، اخترت أحد الأثواب المحببة إلى قلبي يصلح لسهرة أخيرة، استخدمت مساحيق التجميل لعمل بعض التبرج الخفيف، مع زخات كثيفة من عطري المفضل، في حركة متوترة توجهت نحو مدخل الفندق.

يا ويلي كان هذا الرجل يقف بسيارته في الانتظار، لقد تسمرت مكاني، انقض عليّ في لمح البصر مرتديا حلة سموكن مع رابطة عنق فضية اللون.

رأيتها كجوهرة تبحث عن مقتنٍ يعي قيمتها الثمينة، تلونت وجنتاها باللون الوردي بينما سرت قشعريرة لطيفة حينما أمسكت يدها ورسمت قبلة شغوفة عليها، لم تستطع مقاومة الموقف فتحت لها باب سيارتي كان بيننا موعد حدده القدر وبصوت خفيض قلت: "هيا يا أميرتي".

لم نشعر بالزمن حين وصلنا إلى وجهتنا، تحركت سريعا لأفتح لها باب السيارة، دلفنا إلى الداخل في هدوء يليق بجلالها، بينما يملأ المكان صوت موسيقى غربية هادئة تمتزج فيها نغمات الكمان مع رائحة قطرات الماء فوق العشب والأزهار المتفتحة، مزيج يسري بين نظرات وأنفاس المتواجدين كأحد أجمل عطور باريس يزين ألماسة بيضاء مصقولة باحترافية في ثوب قرمزي قصير مكشوفة قمته في مشهد يفتن ألباب الحكماء.

جلسنا هنيهة نحتسي مزيجا من عصير فاكهة استوائية، بينما تسللت إلى أسماع قلوبنا إحدى السيمفونيات الرقيقة الراقصة، لم يساعدني وعيي لمعرفة كيف وصل بنا الحال إلى ساحة الرقص، يداي تحيطان بخصرها النحيل، تنتصب خلفنا فرقة موسيقية تبدع أمام جمع من الحاضرين، اختفى الجميع من حولنا مفسحين لجواد خيالنا العنان أن يطلق قوائمه فوق بساط الريح ليتراقص على أنغام وتغريدات موسيقى ملائكية لم نسمع لها مثيلا من قبل، زقزقات لكناريا هنا وهناك، انتشت

قلوبنا بلذة بيتزا شهية عصفت بأحاسيسنا، تحوطنا شموع ناضرة بعيون ملؤها الفرح والسرور، تطايرت فوق رؤوسنا ملائكة الأحلام الوردية، لم يكن لهذه الليلة مثيل، إنها كما أطلقت عليها "ليلة بألف ليلة وليلة".

امتزجت أرواحنا معا وافترقت أجسادنا عند مدخل الفندق، لم أطق الانتظار لنهار الغد، التزمت بالسفر معها نحو حياة جديدة، لقد وقعت أنا في شباكها.

قابلتها في المطار في منتصف اليوم التالي، حالفني الحظ في وجود مقعد شاغر بنفس الرحلة، سأذهب معها لأي مكان عبر البحار، وبعد ساعتين فوق السحاب وصلت هي لوطنها وتركت أنا وطني بينما صارت هي وطني الجديد، ارتبطنا سريعا في مدة صغيرة بدون مقدمات أو غير ذلك بترتيبات بسيطة، كانت حياتنا ممتعة، مزيج لطيف بين الحنان والسعادة، حب ناضح متقد ينير الأرجاء يفيض فوق موج البحر في مد دائم لا جزر له.. بمرور الأيام تمخض الحب عن طفل محظوظ اختارت هي اسما له كان أسيمار.

كنا دوما نأخذه معنا إلى الشاطئ منذ صغره وقد نمى فيه حب البحار بقوة، كان حلمنا أن يكون ضابطا بحريا يسافر عبر المحيطات يزور كل البلاد ويقابل كل الحضارات ويتواصل معهم بحب وإخاء.

عاملته كصديق لي منذ نعومة أظافره، صار الأمر جديا حينما أصبح بسن الشباب، نقلت له كل خبرتي، كل ما تعلمته عبر السنيين الطوال في بلدي الأم، بينما تعلم من أمه وطنيتها وحبها لبلادها، عاطفتها القوية التحدي والإصرار.

نقطة سوداء ظهرت تبعها الكثير من النقط السوداء لتملأ المشهد وتحوله إلى ظلام.

* كانت الساعة في يد سومي تشير إلى الثانية وأحد عشر دقيقة بالفعل عندما كانت هي تراقب الممر الواقع به غرفة السيد يافد مضت الدقائق كقطرات الشمع الذائب الملتهب تترك بصماتها فوق قلب سومي فهي تعلم جيدا ما قد تؤول إليه الأحداث.. لم تستطع الانتظار أكثر فركضت نحو الغرفة لتتابع ماذا يحدث هناك. دخلت، كان كل شيء في هدوء غير صوت دقات أنظمة الحاسوب، اطمأنت أن كل شيء في مكانه السليم وأجرت تفتيشا سريعا على تجهيزات الإفاقة، استغرق الأمر خمس دقائق ولم تبد أي علامة تغير على رافي، نظرت سومي لساعتها مرة أخرى للتأكد من مرور وقت التجربة، لقد مرت بالفعل، ظهر الخوف على وجه سومي وانتابتها حالة من الحركة المحمومة مع دموع حبيسة. أخذت في تحضير بعض العقاقير وحقنت بها رافي الذي لم يبدِ أي علامات أو بوادر إحساس أو إفاقة، تحركت سومي سريعا لفصل الأجهزة عنه لتحريك السرير الطبي نحو الخارج تدفعه دفعا حتى وصلت لمنتصف الممر، كان هناك هاتف داخلي خاص بالعاملين في المستشفى أرسلت سومي عبره رسالة صوتية إلى غرفة العناية المركزة، وعندما وصلت لها كان كل شيء معد في انتظار المريض الذي لم يكن معلوما لديهم حتى تلك اللحظة.

كانت سومي تحتاج لمساعدتهم بأجهزتهم المتخصصة بينما علموا منذ أن وقعت أعينهم عليه أن زميلهم الطبيب رافي في حالة غريبة، بادرتهم سومي:

- أنا كنت في ممر ١٤ ولقيت الدكتور رافي واقع على الأرض مغمى عليه.

مر الليل تلاه نهار اليوم الأول ولم يفق الدكتور رافي، كانت حالته غريبة، أظهرت التحاليل استخدامه عقار الإيلو قبل الإغماء بوقت قليل. استقرار في الوظائف الحيوية، بعض النشاط في القشرة الدماغية وتم وضعه تحت الملاحظة المستمرة.

مضت خمسة أيام ورافي حبيس غيبوبة غير مبررة فوق سرير طبي بالعناية المركزة كانت ترعاه خلالها صديقته الدكتورة سومي.

لم تتوقف قشرة رافي الدماغية عن إرسال القراءات عبر أجهزة الحاسوب الطبي كانت هذه القراءات ترتفع مع دقات الساعة الثانية بعد منتصف الليل في ذات الموعد كل يوم.

تعجب بالطبع الأطباء لما يحدث لزميلهم رافي، بينما كانت سومي هي الوحيدة من تفتعل هذا التعجب، لقد أيقنت في قرار ذاتها أن ما يحدث هو نتيجة أكيدة مرتبطة بالتجربة التي أجراها رافي في ذاك اليوم، لم تترك حبيبته سومي أي مسلك لمحاولة إنقاذه، لقد استشارت أحد المتخصصين في عالم الإيلوسم عبر التواصل معه هاتفيا، بالطبع استخدمت هوية مصطنعة حتى لا ينكشف أمرها.

بينما كان رافي في عالم آخر داخل عقل يافد الباطن تحكمه قوانين الإيلوسم المشتركة التي وضع هو نفسه في خضمها.

* الساعة الثانية بعد منتصف الليل، اليوم السادس من غيبوبة رافي.

يقف رافي خلف الأشجار الاستوائية، كان كل شيء هادئا غير بعض التشوشات البصرية وبعض الأنوار المشتعلة هنا وهناك خلف الأشجار.

إن يافد يتذكر، سمعت صوتا يتحدث في رأسه بين الأشجار، إنه متوسط الطول حاد الملامح متجهم مع ابتسامة فوضوية، كان يحادث شخصا آخر. اختلست النظر لهما فكانا متشابهين، لا إنهما شبه متطابقين، لقد كان يافد يختلس النظر أيضا من الجهة المقابلة، كان الوضع مقلقا.

قال صاحب الصوت الحاد: "كان الوضع مخيفا بالأسفل، لقد دخلت قمرة القبطان وجمعت الخرائط وغيرها من أوراق تخص الرحلة وتحركت عائدا إلى المقدمة، حينها رأيت ومضات ضوء تخرج من إحدى القمرات في انتظام لم أرها مسبقا.

تحركت نحو الوميض وامتدت يدي لفتح القمرة دون خوف، كنت أظن أن الخوف انتزع من قلبي حينما قتلت خائنتي ورفيقها بيدي العاريتين.

فتحت باب القمرة ببطء وحرص، عندما كان الوميض يلمع أمام عيني، كانت هناك تقبع فوق منضدة صغيرة في المنتصف آلة ميكانيكية بتروس تدور ذاتيا لتصدر مع كل دورة وميضا مختلف الشدة.

كانت ملابس الراكب الهندي ملقاة على أرضية القمرة، مع بعض الأوراق المكتوبة بالإنجليزية، وقطع قارورة زجاجية مهشمة تحمل مادة سائلة شبه زئبقية عاكسة عديمة اللون.

كانت الآلة بداخل صندوق خشبي ملصق عليه بطاقة تعريف كتب عليها.

"آلة أنتيكيثيرا ١٢٠ ق. م"*.

حملتها وأخفيتها في مكان آمن ثم عدت للمقدمة حيث كنت أنت تنتظرني.

وحملتها معي إلى هنا بين حقائبي".

قال الرجل الآخر: "لقد خدعتني أيها الغريب طيلة هذه المدة".

قال هذا الغريب: "يا أسيمار أنت دائما رجل متردد متخوف، إنك تخاف حتى على ما لا تملكه".

قام الرجل المسمى الغريب وأخرج من بين حقائبه صندوقا خشبيا عتيقا من خشب الأرز، عندما فتحه كان بداخله آلة من البرونز تضم تروسا وأقراصا متوافقة بشكل مترابط متصل.

اعتقدت في البداية أنها آلة لحساب شيء ما، نظرت لها كان من الواضح أن بها عيب ما، كانت هناك بعض نقاط سائل شبيه بالزئبق يقطر منها، وقد توقفت عن الحركة تماما.

قال الغريب: "قد تكون هذه الآلة هي السبب في اختفاء الجميع، أعتقد أن حاملها الرجل الهندي قد حاول تشغيلها بطريقة خاطئة مما كان له أثر سلبي جعل الأمور تخرج عن يده".

قال أسيمار: "لقد جلبت أنت أيضا علينا المتاعب طيلة هذه المدة، لقد كنا نتنقل هربا بين جزيرة وأخرى بسبب ذلك الشيء الأثري الملعون دون أن نعلم، وباتت لدينا الآن مشكلتنا الأكبر أن نتخلص من هذه اللعنة".

نقطة سوداء ظهرت تبعها الكثير من الدوائر السوداء لتملأ المشهد وتحوله إلى ظلام.

~~~~

نهار بارد غائم ليوم السبت الموافق التاسع من شهر فبراير العام ٢٠٤١.

تقف إحدى السيارات المصفحة الزرقاء الفخمة من نوع مرسيدس أمام مدخل فيلا كبيرة، على الباب الأمامي وجد ملصق مدون عليه باللغة الهندية قصر عائلة مالهوتار.

يترجل من السيارة حارسان خاصان تبعهما رجل أربعيني العمر بملابس جلدية قاتمة اللون تبدو بشرته شاحبة كالأموات.. مر سريعا من البوابات الأمنية الإلكترونية والكاميرات المثبتة في صالة الدخول متجاوزا رجال الحراسة والكلاب البوليسية نحو مدخل الحديقة الكبيرة الملحقة، كان الجميع يعلمون شخصيته جيدا، بل كان البعض منهم يرفع له مرفقه واضعا يده نحو صدره بتحية خاصة للضيف، سار الضيف
~~~~

عبر طرقات الحديقة التي امتدت لمسافة ملعب كرة خماسية بينما كان يجلس هناك في نهايتها عملاق هندي بملابس هندية تقليدية يداعب أحد النمور المقيدة بعدة سلاسل نحو حلقة معدنية قوية مثبتة من خلفه.

توقف الضيف أمامه يفصلهما بضع خطوات وألقى التحية عليه بينما أشار الهندي لضيفه حينها بالجلوس سامحا له باحتساء بعضا من المشروب القابع فوق منضدة الحديقة المثبتة بإحكام في أرضية عشبية اصطناعية خضراء.

بادره الضيف قائلا: "لقد وردت لنا الأخبار التي طالما انتظرناها سيدي، لقد توصلنا لمكان آلة الأنتيكيثيرا، عميلنا في مصر أبلغنا بالمعلومات."

بدت علامات التوتر تعلو وجه العملاق وهو يستمع لحديث الضيف ثم عقد حاجبيه وتحرك نحو الأمام بنصف جسده العلوي قائلا: "عظيم.. بعد كل هذه السنين الطويلة من ضياع الآلة من عائلتنا واختفائها والبحث في المكان الخاطئ تظهر الآلة في مصر! فلتبدأوا بالعمل فورا، تحرك أنت بنفسك واترك أي أعمال أخرى، يجب أن تعود الجوهرة لملاكها."

رد الضيف: "أعتقد أن هناك احتمالية وجود خسائر نظرا لطبيعة هذا البلد."

هتف سيف خان: "من المستحيل أن نفقد الآلة مرة أخرى، فلتنحي كافة الاعتبارات جانبا، لا يوجد حدود لهذه العملية، يجب أن نستعيد الآلة بأي شكل وأي ثمن."

هم الضيف بالتحرك ملقيا التحية والاحترام لصاحب المقام والمكان، اتجه نحو الخارج بينما كان النمر يتابعه ببصره خطوة بخطوة حتى اختفى خلف الأبواب المعدنية. خرج واستقل سيارته وقد أمر السائق أن يتجه نحو المطار، انطلقت السيارة تشق غمار الطرق السريعة تطوي الأرض طيا بسرعة تناهز المائتي كيلو في الساعة.

التقط الرجل الأربعيني هاتفه وأجرى اتصالا هاتفيا.

قال: "يجب أن تكون في انتظاري حينما أصل إلى مصر اليوم، سأتوجه لمطار برج العرب، هذه العملية شديدة الأهمية لعائلتنا، احرص على مراقبة كل من له صلة بغرضنا المطلوب."

قال الطرف الآخر: "لا تقلق كل الترتيبات جاهزة، سأكون في انتظارك بالتأكيد."

أغلق الرجل الهاتف وارتشف بعضا من مشروب ناوله إياه حارسه ثم قال في حزم عرفه عنه الجميع: "زد سرعتك أيها السائق" ثم نظر خارج زجاج سيارته المسرعة نحو الغابات الممتدة على طول الطريق السريع يتابع أحد الصقور في السماء الزرقاء الذي بدا له وكأنه يسابق سيارته في محاولة بائسة ليصل إلى نهاية طيرانه الأبدي المحموم، حينها كعادته تحركت يده لاإراديا لتتحسس مسدسه الرابض بجانبه الأيمن، لقد كان يفعل ذلك دائما كلما شاهد أحد الطيور الجارحة، ليس خوفا منها لكن خوفا من الحرية التي تعيشها، لقد كان (رامايان) يعيش طيلة حياته عبدا بشكل ما، لقد ولد في أسرة فقيرة يعمل أغلبها لدى

عائلة مالهوتار حتى النساء أيضا وجدن قوتهن في الخدمة داخل إحدى الفيلات الكثيرة التي تملكها العائلة، كان والد رامايان منذ صغره يعمل حارسا خاصا لديهم، لقد ولد رامايان على أرض عائلة مالهوتار، كان عالمه لا يعرف غيره، تربى بين أروقة منزلهم، لم يرَ العالم بالخارج إلا عندما بلغ الصبي تعلم حمل السلاح والرياضات القتالية هدفه الأساسي تنفيذ ما يأمر به، حتى لو كان ذلك يخالف القانون، لم يكن لدى رامايان عائلة صغيرة، كان يقيم علاقات نسائية عشوائية دون رابط شرعي، كانت حياته تحتم عليه ذلك، كان سيف خان يوكل له كل المهمات السرية القذرة، يعيش متخفيا بين الشقوق كالثعبان لا يعلم مكانه أغلب المحيطين به، ولاؤه الوحيد لعائلة مالهوتار.

*مر الأسبوعان الأخيران من شهر فبراير سريعا منذ قيام رافي بالتجربة التي لا يعلم بها إلا سومي ووقوعه في براثن الغيبوبة، واصلت سومي الليل بالنهار طيلة هذه الأيام بحثا عن طريقة لإنقاذ حبيبها رافي، تغيبت عن عملها بالمستشفى بالرغم من أنها لم تعتد ذلك في السابق، استشارت من تعرفهم من خبراء الإيلوسم، كانت تقنية الإيلوسم المشتركة التي استخدمها رافي هي تجربة جديدة نظرية فقط في هذا المضمار، قام العلماء بعمل محاكاة لها عبر الحاسوب لكن لم تتم تجربتها على أي بشري قط، كانت تجربة صعبة بالفعل، وبمجرد أن يتم الإعلان عن قيامهم بها سيحكم على رافي بالحجز في أي مستشفى حكومي ومجازاتها بالفصل من العمل.

تحملت سومي العواقب وقامت بجلب الكثير من المراجع وتذكرت ما قاله لها رافي في الهاتف فذهبت إلى مكتبه في المستشفى لتعثر على كتاب (سيكولوجيا بناء الإيلوسم المشتركة) محاولة التوصل لتقنية لتعكس بها التجربة، بحثت كثيرا واتخذت قرارها عن حب في اليوم الحادي عشر من غيابه، يجب أن تتدخل بنفسها لتنقذ رافي مع علمها بخطورة ما تفعل لكنها آثرت التضحية لإنقاذ حبيبها.

كانت طريقة إنقاذه الوحيدة هي أن تدخل سومي إيلو مشترك مع رافي وتخبره بوقوعه في الغيبوبة بسبب تمسك عقل يافد به ومن ثم تحاول سومي أن توقظه معها بينما تقوم بحقن يافد بالمادة المضادة.

- ارتفع صوت جرس الباب بمقطوعة موسيقية لعمر خيرت مخترقا حوائط المنزل حتى وصل لمسامع السيدة جاسمين بينما هي تعد قدحا من مشروبها المفضل، تركت ما بيدها وتحركت نحو الباب ببطء نظرا لانتشار بعض الدهون المتراكمة حول ساقيها القصيرتين لتعلن بوقاحة عن عمرها الذي تخطى الأربعين قضت منه نصفه كزوجة وأم مثالية، تناست نفسها بعد وفاة زوجها لتسهر على تربية سومي التي تشبهها كثيرا بشعرها المسترسل الطويل البني وعينيها العسليتين كحجري عقيق صافي لتنظر بهما عبر العين السحرية لتجد صديقة ابنتها الدكتورة (ماهي) تقف منتظرة في الممر المليء بقدور أشجار بلاستيكية تزين المكان وتضفي عليه رونقا خاصا يسر الضيوف.

فتحت السيدة جاسمين لماهي وضمتها بين ساعديها في موجة ترحيب حار وقالت: "اتفضلي يا حبيبتي أهلا وسهلا بيكي شرفتينا."

ردت ماهي: "ازيك يا طنط وحشتيني جدا هي سومي صاحية علشان أدخلها؟."

- أيوة يا بنتي مش بتنام، طول الوقت فاتحة الكتب ولا حتى راضية تاكل وتعبتني معاها.

- أنا هتصرف معاها يا طنط ماتشغليش بالك.

نادت سومي: "تعالي يا ماهي أنا عاوزاكي."

دخلت الفتاتان غرفة سومي الوردية وأغلقتا الباب خلفهما بينما ذهبت الأم لأعداد مشروب الضيافة.

قالت سومي: "أنا هتجنن يا ماهي مش لاقية أي طريقة غير اللي قولتلك عليها أنقذ بيها رافي! أنا مش قادرة أسيبه كدا روحي هتطلع وأسمعه بيتكلم تاني حتى لو مش هيتجوزني."..

ردت ماهي: "ما هو انتي مش ضامنة الطريقة دي وممكن انتي كمان تروحي في غيبوبة."

- مافيش حل تاني حاليا وخصوصا إن كل الدكاترة بيقولوا إن كل ما المدة تطول نسبة رجوعه للحياة تاني بتقل..

- طب وانتي هتعملي إيه مع مامتك هتقوليلها إيه؟!

- أكيد هفهمها إن في تدريب في المستشفى ولازم أكون موجودة ومش ضامنة ظروفي، بس أنا رتبت الموضوع مع الممرضة إنها تديني المضاد بعد ساعتين بالظبط طبعا قبل انتهاء مفعول دواء الإيلو.

همست ماهي بخوف وحب: "أنا خايفة عليكي جدا انتي عارفة أنا ماليش أصحاب غيرك ومش هقدر أتحمل لو حصلتلك أي حاجة"..

- خلاص بقا يا ماهي بلاش تصعبي عليا الأمور أكتر من كدا إن شاء الله ربنا هيستر.

- اختارت سومي يوم الخميس الجاري للقيام بمهمتها الانتحارية في إنقاذ حبيبها، كانت تعرف كل الفريق الطبي المناوب في هذه الليلة، بعضهم زملاء دراسة والآخرين كانت تربطها بهم معرفة عمل طيبة.

حينما وصلت المستشفى كانت قد تجهزت للأمر، استعانت بقرص الإيلو ودخلت إلى غرفة مجاورة لغرفة رافي بعد حقنه أيضا بمادة الإيلو، استدعت إحدى صديقاتها الممرضات لمساعدتها وطلبت منها أن تبقى بجوارها حتى تستفيق لكنها لم تخبرها بأي شيء غير حقنها بمادة مركبة بعد مرور الساعة على دخولها في الإيلو.

استلقت سومي على سرير في جانب الغرفة الأيمن. بدا الأمر سريعا وميسرا حتى بدأت في اختراق حاجز جدار عقل رافي عندها واجهتها مشكلة كبيرة، كان رافي مسلوب العقل يسيطر عليه عقل يافد المريض، اختلطت الذكريات بينهما كأنما أصبحا عقلا واحد.

* كان رافي يقف مشتتا في منتصف ممر قصير مضاء، اقتربت منه مسرعة لكنه لا يراني ولم أستطع أن أمسك به بالطبع لذلك ناديته بصوت مرتفع، استدار حوله وقال: "أين أنتِ يا سومي."

فاجبته: "لا وقت لأن أشرح لك يجب أن تخرج من عقل يافد وتستفيق لقد وقعت في غيبوبة بعد تجربة الإيلوسم المشتركة معه، يجب أن تتحرر أنت وتخرج لا توجد طريقة أخرى، أنا حقنت يافد بالمادة المضادة لكي يكون الموضوع سهل عليك."

رد رافي: "الصدمة لا ترعب المرعب هو انتظارها."

سار رافي نحو المصعد ودخله، لم أستطع أن أكون معه لا أعلم السبب لكني انتظرت حتى توقف، ظهر حينها على الشاشة لقد توقف في الدور الرابع، تبعته مستخدمة السلالم.

عندما وصلت لم يكن هناك سوى باب واحد في الممر ففتحته ودخلت، رأيت الكثير من الكتب متراصة بعناية، درت بعيني وانتقلت بين الأرفف المكتظة من حولي، لقد تذكرتها إنها المكتبة الخاصة بكلية الطب التي تخرج منها رافي ولحقت به في السنة التالية، كان المكان هادئا فارغا من الناس مضاء أغلبه حتى بدا صوت ضحكات مستهترة

يلوح من بعيد فتحركت بهدوء نحو مصدر الصوت متخفيه خلف خزانات الكتب، كان مصدر الصوت يأتي من غرفة مشرف المكتبة، نظرت من بعيد خلف الحاجز الزجاجي كان باب الغرفة مفتوحا، جلست مشرفة المكتبة في أحضان رجل ما لم أرَ منه غير ظهره، أغمضت عيني، قلت لنفسي: "أنا في تجربة لإنقاذ رافي كيف وصل بي الأمر إلى هنا أعتقد أن هناك خطأ ما."

ثم ذهبت بكلتا عيني بحثا عن الباب فلم أجده، كانت هناك بعض الاختلافات التي لا أتذكر وجودها في الحقيقة سابقا، لقد وجدته أخيرا كان الباب الوحيد في مقدمة غرفة المشرف لا يمكن الخروج منه إلا عبر المرور من هناك، أعتقد أني سأنتظر خروجهما، لدقيقة مرت سمعت هناك صوت لهاتف محمول، كان بيد الرجل لقد وقف أمامي يتحدث به، أمامي مباشرة عبر الحاجز الزجاجي يا إلهي إنه رافي..! رافي ايها الوغد اللعين القبيح الخنزير.

بدأت دموعي تنهمر رغما عني دموع سوداء أصبحت نقاطا سوداء تبعها الكثير من الدوائر السوداء لتملأ المشهد وتحوله إلى ظلام.

- الساعة السادسة من مساء يوم الجمعة، طرقت ماهي على الغرفه رقم ٧٠٦ ثلاث طرقات سريعة متتابعة، كان النهار لطيفا بالخارج، عندما فتحت الباب ودلفت إلى الداخل ارتسمت على وجهها السعادة والفرح حينما رأت صديقتها سومي بحالة طيبة.

هتفت ماهي: "الحمد لله إنكم رجعتوا بخير، أنا فرحانة ليكي أوي إنك نجحتي في إنقاذه."

كأن وجه صديقتها ماهي أو كلماتها قد أثارا كربا داخل روح سومي فأخذت تذرف دموعا حارة مكررة عبارة: "يا ريتنا ما رجعنا... يا ريتنا ما رجعنا."

وضعت ماهي يدها فوق جبينها ثم أخذت تلف ساعدها الآخر حول صديقة عمرها سومي وقالت: "إيه اللي حصل فهميني ليه بتقولي كدا."!

ردت سومي: "مصيبة يا ماهي مصيبة، البيه اللي حبيته وكنت هضحي بعمري علشان أنقذه، شوفته في أحضان واحدة تانية، التجربة بينت كل حاجة بينت خيانته ووقاحته."

- أنا قولتلك قبل كدا أنا مش مستريحاله من وقت ما قابلته، بس انتي كنتي بتحبيه أوي، احمدي ربنا إنك عرفتي خيانته بدل ما تفضلي على عماكي كدا."

ثم انطلقت الفتاتان في سباق محموم من الدموع والنحيب حتى بكت لهما عصافير الأشجار.

- **يوم الإثنين التالي.**

"سومي.. دكتورة سومي انتظري لو سمحتي."

كانت سومي تسير بجوار زميلتها الدكتورة أوليفيا سيدة طويلة رفيعة ذات كتفين عريضين في العقد الرابع من عمرها لا تستطيع أن تكتم حديثا ناهيك عن الأسرار التي تتلذذ بفضحها للجميع مع بعض الإضافات التجميلية، توقفت أوليفيا عن الحديث بينما توقفت سومي واستدارت نحو مصدر الصوت، كان بعيدا لكنه مسموعا رغم ذلك، كان الدكتور رافي يسير نحوهما بسرعة.. قال: "يا دكتورة كنت بدور على حضرتك في حالة لازم تشوفيها."

ردت سومي: "انت رجعت من الأجازة ليه انت مش واخد لآخر الأسبوع؟ وحالة إيه اللي بتتكلم عنها؟."

قاطعت أوليفيا: "طيب يا جماعة أنا عندي مرور لازم ألحقه عن إذنكم، وحمد الله على سلامتك يا دكتور رافي."

رد رافي: "الله يسلمك يا دكتورة."

انتظرت سومي بعد أن تأكدت من ابتعاد أوليفيا لمسافة كافية وقالت: "عاوز إيه يا دكتور مني."

- لازم نروح مكتبي مش هينفع نتكلم هنا خالص.

سارا معا نحو مكتبه بدون أن يتفوه أي منهما بكلمة واحدة.

دخلت سومي أولا ثم تبعها رافي مغلقا الباب خلفه وجلس هو خلف مكتبه بينما كانت سومي تجلس أمامه وقال: "أنا واقع في مشكلة كبيرة.. أنا ماحكيتلكيش على كل حاجة شفتها في الغيبوبة، لأنها حاجات مش معقولة ومش فاهمها خالص، بس دلوقتي المهم إني متراقب ومش من جهة أمنية، دول رجالة شبه العصابات اللي بنشوفها في الأفلام، ومش أنا بس دول بيراقبوا بيتي وبيت جدتي وكل بيوت عيلتي اللي بروحلها وامبارح بس اتأكدت إنهم كمان سامعين كل اللي بنقوله مش عارف ازاي، لما قلت لأخويا إني رايح أبلغ البوليس لقيت واحد مستني جمب عربيتي، ولما قربت منه قال كلمتين بس: "الداخلية لو عرفت هتخسر أهلك" وهرب بعدها مالمحتهوش.

أنا طبعا خوفت جدا ورجعت البيت حكيت لأخويا وقررنا إننا نستنى نشوف هم عاوزين مني إيه، أنا باحكيلك علشان كل أسراري معاكي، انتي الوحيدة اللي هتكوني عارفة إن لو حصلي مكروه هيكون مرتبط بالتجربة اللي عملتها اللي أنا مش عارف هم عرفوا بيها ازاي بس أنا شاكك في الدكتور شاهر إنه يكون سرب معلومات من كمبيوتر التواصل الجديد اللي استخدمناه مع جدي."

ردت سومي: "وبعدين انت هتتصرف ازاي؟ أنا ممكن أبلغ قرايبي في الداخلية بشكل ودي."

وقف رافي وأخذ دورة حول مكتبه وقال: "مش عارف إيه اللي بيحصلي دا وهتجنن من الدوامة اللي دخلتها فجأة، النتائج الغريبة لتجربة التواصل وتجربة الإيلوسم المشتركة اللي عملناها والغيبوبة واللي شفته فيها ومشاكل مع أهلي بسبب الأسرار اللي اتفضحت دي

ودلوقتي العصابة اللي بتراقبني مش عارف عاوزين مني إيه، لكن أنا قريب هيكون ليا زيارة لمقبرة العيلة."

- إيه اللي هيوديك المقبرة؟ وإيه بقا الأسرار اللي انت مخبيها عني كمان؟؟

- مش هينفع أقولك على أي حاجة تاني، أنا مش عاوز أعرضك لأي خطر، مش عاوز أكون سبب في ضرر لكل اللي حواليا!

طرقات قوية من الخارج مع صوت لإحدى ممرضات المستشفى قائلة: "دكتور رافي عاوزين حضرتك في العناية ضروري وبسرعة."

حدق كل من سومي ورافي في عيني الآخر للحظة قبل أن يقول الأخير: "تعالي معايا نشوف في إيه."

تحركا سريعا وما إن وصلا العناية حتى فهم الأمر، كان بعض الأطباء مجتمعين بجوار سرير السيد يافد الذي كان قد فارق الحياة قبل لحظات من وصول رافي، لقد أعلنت الأجهزة الطبية عن سكتة دماغية فاضت روحه بعدها مباشرة للسماء.

* عاد رافي مرة أخرى نحو مكتبه، لم يكن الأمر يشكل أي صدمة له، خاصة بعد تأكده من أن هذا الرجل كان ينتحل شخصية جده ويقوم بخداعهم طيلة هذه السنين، جل ما كان يفكر به هو جدته رنيم كيف ستستقبل هذا الخبر الحزين.

بينما هو كذلك إذ سمع صوت جرس هاتف المكتب، التقط رافي السماعة وقال: "دكتور رافي" لقد أثقل بعض الحزن لسانه.

بادره الصوت هناك على الطرف الآخر قائلا: "الله يرحمه السيد يافد كان شخص عظيم، بس لازم تخرج من حزنك وتبدأ تتحرك علشان تسلمنا الآلة الأثرية بسرعة" ثم سمع رافي صوت غلق الهاتف قبل أن يفكر في الإجابة.

تملك التعجب من رافي، كان هؤلاء الاشخاص يراقبونه عن كثب يعلمون بكل شيء يدور من حوله حتى المعلومات التي توصل لها لن تكن في أمان عنهم، تسلل شعور بالضعف والقلق إلى قلب رافي دفعه ذلك أن يتحرك عائدا لمنزله لتستعيد روحه بعضا من طاقة الأمان هناك.

فتحرك نحو باب المصعد وهبط به نحو الطابق الأرضي وخرج منه متجها إلى صالة الاستقبال مارا بعم (متّى) رجل كبير السن ينتشر الشيب فوق رأسه وبين ثيابه نحيل الجسد -أعتقد من كثرة العمل في المستشفى والصيام- هادئ الطبع محبوب بين الجميع يتجول بحرية بين أروقة وغرف المستشفى نظرا لطبيعة عمله بالتفتيش على أجهزة الإنذار والأمان وغيرها.

تابعت عينا عم متّى أقدام رافي التي ساقته نحو خارج المستشفى فتسلل الأول لعمل مخابرة هاتفية قال فيها: "أيوة يا باشا الدكتور خرج حالا بعد ما عرف خبر وفاة يافد.. آه بس أنا مش عارف رايح فين."

توجه رافي نحو سيارته لكن القدر لم يمهله ولم يشعر بنفسه إلا وهو ملقى في مؤخرة شاحنة صغيرة مسرعة مع ثلاثة ثيران أشبه بالرجال، لقد أغلق الأول فمه بقطعة قماش مبللة بداخله بينما ربط الرجل الثالث يديه خلف ظهره، كان الرجل الثاني يرتكز على إحدى ركبتيه ينظر إلى

الأمر بتمعن واقترب بوجهه من رافي حتى سمع الأخير صوت أنفاسه قائلا: "مش هتخرج من هنا غير والأثر معانا ومش هيفيدنا موتك بحاجة لكن لو تعبتنا مفيش عندنا أقرب من الموت بس مش ليك هنوصل لكل اللي بتحبهم."

اهتز رافي مما حدث، كان وجه هؤلاء الرجال كفيلا ببث الرعب في قلبه الذي لم يستطع أن يلجم عقال عينيه عن البكاء كنحيب طفل صغير فقد أبويه أمام عينيه.

* مرت أربعة أيام على اختفاء رافي بعد خروجه من المستشفى، بحث عنه الجميع، لجأت جدته رنيم لأخيها الوحيد ليمو لمساعدتها، مرت الأيام ثقيلة ممتلئة بالحزن والألم والرجاء لكل العائلة، لم تتوقف والدة رافي عن الدعاء أثناء كل صلاة وليل نهار بعودة ابنها المتغيب.

كان رامي أخو رافي يجري اتصالا برئيس مباحث القسم يوما بعد الآخر يسأل عن تطور التحقيقات.

وفي صباح اليوم العاشر لتغيب رافي ورد أخاه اتصال من رجل عرف نفسه بأنه السيد رشدي رئيس مباحث العاصمة وطلب من رامي أن يحضر لمقابلته في مقر مديرية الأمن بشأن اختفاء أخيه.

ترك رامي عمله في الشركة بحي الشروق واتجه سريعا لمديرية الأمن وعند البوابة الأمامية طلب مقابلة السيد رشدي، تحرك معه شرطي ليدله على الطريق حتى وصلا لمكتب السيد رشدي.

استأذن رامي بالدخول وقد كان رشدي في انتظاره.

قال السيد رشدي: "باختصار ومش هطول عليك احنا لقينا شاب مقتول في بحيرة التمساح في شك إنه يكون أخوك المتغيب علشان كدا هتيجي معايا المشرحة احتمال تتعرف عليه."

وبعد أن تلقى رامي الصدمة وساعده السيد رشدي في أن يتمالك نفسه تحركا سويا لتبيان الأمر، ركب رامي مع السيد رشدي سيارة الشرطة وما هي إلا دقائق معدودة حتى وصلا لمبنى المشرحة ودخلا سويا لغرفة المبرد المعدة لحفظ الجثث، لم ينل رامي نصب في التعرف على أخيه رغم اختفاء ملامحه التي طمستها المياه، إلا أن الموقف كان بشعا بحق لقد وقع رامي مغشيا عليه فوق الأرضية الجافة الباردة.

كان هذا الأمر وبالا على جميع عائلة رافي، لقد بات الإعلام يسلط أضواءه على جرائم القتل غير العادية فانتشر الخبر في كل مكان تحت عنوان قتيل بحيرة التمساح ومن ثم لاحقتهم أعين الصحافة واتصالات الإعلاميين لمعرفة قصة مقتل رافي.

رغم توصل الشرطة إلى التعرف على رافي سريعا إلا أن مقتله بهذه الطريقة صار لغزا بالفعل، لا آثار لأي شيء أو بصمات تدل على القاتل أو سبب وجود القتيل في هذا المكان. لقد استجوبت الشرطة الجميع، كل من له علاقة به، أصدقاءه، زملاءه في العمل.

كانت سومي ضمن الشخصيات التي استجوبتها الشرطة، لكنها لم تستطع أن تكتم ما تعلمه من أسرار قد تكشف شخصية الجناة رغم خيانة رافي لها.

كانت شهادة سومي عن الحادثة مجرد تجربة علمية لم تثبت صحتها، ولم يظهر أو يكشف حقيقة الأمر، إلا أن ما قالته عن شكوك رافي من مراقبة أحدهم له قد غلف هذه القضية بأغطية الغموض، الشرطة لم تعثر على أي دليل، كانت تبحث في الاتجاه الخاطئ، لقد ظنوا أن مقتله محاولة ابتزاز أو إحدى علاقاته النسائية الكثيرة -التي اكتشفت جراء وفاته- قد أودت به إلى الهاوية.

*كان من السهولة أن تصل أوراق التحقيق إلى أيدي رجل بقدرات ليمو وقد لفتت نظره شهادة سومي لذلك قام بالتواصل معها شخصيا دون أن يعلم أحد، واتخذ ما قالته ركيزة لأن يغير طريقة بحثه عن رافي، كان تعجبه مما ذكره رافي لزيارته لمقبرة العائلة، لذلك أمر رجاله بأن يذهبوا لفحصها ويبلغوه بما حدث، لقد كانت تحركات ليمو في الاتجاه الصحيح لكنها متأخرة.

في أحد الأبنية الشاهقة الارتفاع جلس ليمو ينتظر مكالمة هاتفية في مكتبه الكائن بأحد الأحياء الراقية، نظر لساعة الحائط الذهبية الأثرية المحببة لقلبه التي اشتراها من أحد مزادات صالة كريستي الشهيرة بمبلغ ثلاثمائة وخمسة وسبعين ألف دولار والتي كانت يرجع تاريخها للعهود الوسطى، تشير إلى الثامنة والربع مساء، كانت نفسه تشتعل غضبا لموت حفيد أخته تتوق للانتقام الذي عرف عنه دائما بين رجالات العالم السفلي.

حينما دق جرس الهاتف باتصال من رجله الأول وذراعه الأيمن (هدار) قال فيه: "أيوة يا ريس أنا واقف قدام المقبرة دلوقتي، فعلا تفكيرك وشكك في محله، الباب مفتوح ومقفول من قريب أوي وفيها حفر جوة

جمب الحائط اليمين، وفي واحد من حبايبنا هناك بيقول إنه شاف أربع عربيات جيب متفيمة نزل منها مصريين وهنود راحوا ناحية المقبرة وكانوا عاملين قلق، وقالي على رقم عربية منهم، أوامرك يا ريس؟."

رد ليمو: "دلوقتي حالا تعرفلي العربيات دي تبع مين ومكانه فين وكل المعلومات عنه، وتعالى بسرعة لمكتبي علشان نرتب هنتحرك ازاي بسرعة" وأغلق ليمو الخط.

بعد مرور ثلاثة ساعات من الانتظار كاد ليمو أثناءها أن يفقد صبره وأعصابه وصل هدار مع أخبار جديدة.

- جبتلك الفايدة يا باشا والمعلومات كلها في الورقة دي.

امتدت يد ليمو سريعا وأخذ الورقة لقراءتها، تمتم سريعا بمحتوياتها وقال: "تمام ابعت حد للموقع دا يعرف الأخبار والتفاصيل ويراقب المكان لحد ما تجهز رجالة بمستوى العملية دي وتهاجم الفيلا الليلة مش عاوز حد يطلع حي من هناك، أوامري واضحة، مش عاوز أي غلطة تكشفنا، لازم عملية نضيفة تماما، كمان لازم توصل للحاجة اللي سرقوها من المقبرة وتجيبهالي أنا هكون منتظرك في المزرعة اللي في طريق إسكندرية."

كان رامايان مشغولا في تفاصيل عملية الخروج الآمن من مصر ورحلته صوب الهند فاجتمع مع رجاله في الفيلا الخاصة بهم في طريق القاهرة السويس مطمئنا واثقا مما يفعل، كان يسبق الجميع بخطوة، لقد وصل لصندوق الآلة وتخلص من رافي وأخفى كل صلة له بالحادث وجل ما عليه هو العودة فقط.

كان هدار قد توصل لمعلومات تفيد بأن هذه السيارة مسجلة باسم السيدة مادلين جوزيف وهي زوجة شعيل الرويشد شريك عائلة مالهوتار في مصر وأحد أتباعهم المخلصين، كما استطاع الوصول لعنوان مسكنهم، كانت فيلا كبيرة بها سور بارتفاع ستة أمتار بحراسة كاميرات مراقبة بالآشعة تحت الحمراء، وخلف السور هناك سور آخر من رجال مدججين بالسلاح طيلة اليوم دون نوم أو تراخٍ، لكن ذلك كله كان أمرا طفوليا أمام قدرة هدار غير العادية، كان هدار سابقا ضمن فرقة العمليات الخاصة بالجيش، تدرب على استخدام الأسلحة المختلفة والقنابل والمواد الكيميائية وفنون القتال والعمليات الخاصة والاقتحام وعمليات الإنقاذ وغيرها من العمليات النوعية، وجد ضالته في صداقة ليمو الذي أغدق عليه الكثير من الأموال والنعم.

كانت له القدرة على اختراق وتخطي أقوى حراسات المنشآت حتى وزارة الداخلية ذاتها بطريقة خبيثة دون خسائر بشرية.

أمر هدار رجاله بمراقبة الفيلا جيدا والشوارع المجاورة لها وقطع أي عملية وصول لها للاستفادة منها، لم تمر أكثر من ساعتين حين ورده اتصال من رجاله يفيده بأنهم قد استطاعوا القبض على إحدى السيارات الجيب وهي تتجه نحو الفيلا.

وقام رجاله بالتحفظ على رجلين كانا بداخلها وحقنهما بمنوم سريع، وفي دقائق وجيزة أمر هدار رجاله بأن يتحرك أفضلهم وهما الأخوين (بيجل) و(ميجل) ويقوما بارتداء ملابس المقبوض عليهم وانتحال هويتهما ووضع وجهين جلديين مطابقين لوجه الرجلين أعدت بآلة

الطباعة ثلاثية الأبعاد ثم يقوما بقيادة السيارة ليدخلا الفيلا بدلا منهما ويبقى الجميع في تأهب لأي رد فعل أو نتائج غير متوقعة.

وبكل سهولة وثقة تحرك رجال هدار وركب الرجلان السيارة واتجها صوب الفيلا ومرا من الحراسة التي تعرفت عليهما أنهما من رجال رامايان دون النظر في هويتهما الورقية حتى وصلا للداخل، وفي دقائق معدودة كانت الرصاصات تنهمر يمينا ويسارا من فوهة كاتم الصوت لتستقر في أجساد رجال راميان الذين سقط جميعهم وهم تسعة رجال بينما كان راميان نائما في الطابق الثاني وهناك ثلاثة رجال آخرين من رجاله في غرفة مجاورة لغرفته إلى يسار السلم يقومون بحراسة صندوق الآلة.

تنقل بيجل وميجل في الطابق الأول بكل سهولة بحثا عن أي شيء غريب فلم يلفت انتباههما أي شيء ثم تحركا عبر السلم الأوسط للفيلا نحو الطابق الأعلى، سارا بحذر في الممر، كان حظهما جيدا عندما فتحا باب الغرفة الأولى على اليسار، كان الصندوق أمامهما لكن أحد الحراس كان سريعا بقدر أن يطعن ميجل بسكين في فخذه الأيسر قبل أن يطلق بيجل الرصاص عليه ويقتله مع زميليه الآخرين ثم قام بيجل بفتح صندوق الآلة، كان منظرها الأثري القديم غريبا ومريبا لعقله وقد أكد له أنها هي الغرض المطلوب إحضاره فتحرك الاثنان به عائدين سريعا نحو الأسفل قبل أن يعترض طريقهما أحد آخر ثم خرجا ووضع بيجل صندوق الآلة في صندوق السيارة واتخذا طريق الخروج من الفيلا بثبات تام حتى وصلا إلى السيارة التي ينتظر بها هدار وقاما بتسليمه الصندوق.

لقد بدأ الصباح في إطلاق روائحه الندية، فتح هدار الصندوق وتفحصه ثم أجرى محادثة هاتفية للسيد ليمو تحرك على أثرها بسيارته لمقابلته.

نهار اليوم التالي، الحادي والعشرون من شهر مارس الجاري.

كان السيد رشدي منذ ساعة مضت أمر بالاتصال برامي عبر الهاتف وانتظر حتى رد عليه عامل التحويلة وقال: "أيوة يا فندم الرقم كان مشغول ولسه مجمع حالا" ثم سمع بعدها صوت نغمة الاتصال.

قال السيد رشدي: "ألو أستاذ رامي باسل معايا؟."

- أيوة أنا رامي مين معايا؟

- أنا رشدي رئيس المباحث كنت عاوزك في موضوع مهم.

- اتفضل يا فندم أنا مركز مع حضرتك.

- احنا عملنا تحليل البصمة الوراثية لجثة قتيل بحيرة التمساح والنتيجة طلعت سلبية والجثة دي ماطلعتش جثة أخوك رافي ومالهاش علاقة بأسرتكم خالص.

- ازاي يا فندم الكلام دا!

- قتيل بحيرة التمساح طلع شاب من السويس شبه أخوك جدا وفي نفس سنه وهيئته وأهله اتعرفوا عليه واحنا اتأكدنا من كدا، وعلشان الجثة

كانت مطموسة الملامح انت جالك إحساس عاطفي إنه أخوك لكن إحساسك طلع غلط.

- أنا هجيلك يا باشا حالا بعد إذنك.

- خلاص أنا منتظرك.

عندما وصل هدار إلى مزرعة رئيسه ليمو في طريق القاهرة الإسكندرية الذي كان ينتظره في مكتبه، مر هدار برجال الحراسة الذين يعرفونه عن ظهر قلب فهو الرجل الثاني بعد ليمو يتلقى منه أوامره وينقلها لهم وللعاملين بشركاته ومؤسساته المنتشرة هنا وهناك.

سار هدار في الممر المؤدي لمكتب ليمو حتى وصل لمكتب السكرتير، الذي قام مسرعا لتحيته قائلًا: "جيت في وقتك الريس جوة في انتظارك وكل شوية يسأل عليك."

- ماشي هاتلي انت مشروب الطاقة بتاعي جوة.

ثم دخل هدار الغرفة.

وعندما أغلق الباب قام السكرتير بطلب عامل البوفيه عبر الهاتف وقال له: "هات مشروب الطاقة للسيد هدار في مكتب الريس بسرعة."

هناك بالداخل كان ليمو لم يذق النوم طيلة أيام مضت، كان ينتظر أن تحل هذه القضية المعلقة وها هو الآن وصل إلى النهاية، استقبل هدار بترحاب وفخر قائلًا له: "العملية دي تمت زي ما أنا طلبت بكل سهولة لازم أكافأك بأي حاجة تطلبها."

ثم نظر ليمو للصندوق الذي كان يحمله هدار ووضعه فوق الطاولة وقال: "هو دا اللي حفيد أختي فقد حياته بسببه."

رد هدار: "في مفاجأة يا ريس أنا لقيت بطاقة الدكتور رافي في محفظة جوة الصندوق وفيه كمان أنبوبة فيها سائل عملتله تحليل وعرفت إنه شبه الزئبق فا جيبت مادة الزئبق لأني أعتقد إن السائل دا هو اللي بيخلي التروس تتحرك، احتمال يا ريس إن الأثر دا يكون ساعة فلكية."

نظر ليمو للآلة بتعجب ونظر لهدار قائلا: "طيب شغلها نشوف إيه الفايدة منها."

انهمك هدار في صب السائل بداخل الآلة وإعدادها للعمل.

تلقى عامل البوفيه طلب السكرتير بالصدمة والصمت، كان البوفيه مليء من كل أصناف العصائر والمشروبات إلا من مشروب الطاقة الذي طلبه السكرتير.

قال العامل لنفسه: "مفيش غير إني أطلع أجيبه من برة بسرعة وأرجع مش هاخد خمس دقايق."

وبالفعل تحرك مسرعا إلى خارج المزرعة ليحضر المشروب من أحد المحلات داخل محطة البنزين القريبة منهم ثم عاد مرة أخرى.

مر العامل من باب المزرعة كان كل شيء هادئا بطريقة غريبة لم يعتدها لكنه تغاضى عن ذلك واتجه إلى البوفيه ليعد المشروب وبسرعة الرياح اتجه إلى مكتب الريس ليمو ومر بالممر الذي كان فارغا من الجميع حتى وصل إلى مكتب السكرتير لكنه لم يجده وقد اعتقد أنه قد ذهب لقضاء حاجته، لم يكن أمامه خيار الانتظار خوفا من أن يتأخر على هدار الذي كان باستطاعته أن يصب جام غضبه على الجميع هنا دون أن يقف في وجهه أحد.

طرق العامل الباب بلطف قائلا: "البوفيه يا باشا."

انتظر قليلا الرد لكنه لم يسمع شيئا فأعاد الطرق مرة أخرى لكن لم يجبه أحد.

فقام بفتح الباب ببطء شديد ليدخل بعدها إلى المكتب الدائري الفارغ أيضا وراح بنظره يدور في المكان بحثا عن رئيس عمله أو هدار أو السكرتير لكنه لم يجد أحدا غير ملابسهم الملقاة فوق المقاعد الجلدية الوثيرة.

قال العامل بصوت مرتفع قليلا: "البوفيه يا باشا."!

لكنه لم يجد ردا.. بالطبع لن يتكلم الأثاث المتبقي أو الآلة الغريبة المنتصبة فوق المنضدة هناك.

خرج العامل عائدا في الممر يبحث عن الجميع لكنه لم يجد أحدا كان الجميع قد اختفوا!..

اختفوا بشكل ما، صارت المزرعة كلها فارغة بلا بشر أو حيوانات أو أي شيء يتحرك أو يتنفس.

تمت.

المعلومات العلمية.

١- الرجل ذو الوجهين.

اسمه الحقيقي إدوارد مورداك عاش في القرن التاسع عشر، ولد إدوارد وهو يحمل وجهين.

وعاش حياته في كرب كبير، أقدم إدوارد مورداك على الانتحار وأنهى حياته بالسم وهو في سن الثالثة والعشرين وترك رسالة قال فيها: "لا أريد أن أعيش مع هذا الشيطان في قبري كما عاش معي في حياتي."

٢- خلل النسيج الليفي المعظم.

متلازمة الرجل الصخرة وهو مرض نادر يصيب النسيج الضام بحيث يحدث طفرة في طريقة إصلاح الضرر بالنسيج الضام وتتحول الأنسجة إلى عظم وتفشل عمليات إزالة العظم الجديد الزائد في علاج الحالة حيث يقوم الجسم بمعالجة نفسه بتكوين عظم جديد في مكان الجرح.

٣- متلازمة أقدام النعامة.

الفادوما هي قبيلة تعيش في شمال زيمبابوي حيث تغيب الثلاث أصابع التي في منتصف القدم والأصبعين الخارجين منحنية للداخل، مما أدى إلى تسميتها قبيلة "ذوي الإصبعين" أو "أقدام النعامة". تعتبر هذه الحالة ورائية جسمية ناتجة عن طفرة في الكروموسوم ٧.

وتظهر حالة انعدام الأصابع هذه في أماكن أخرى في العالم.

٤- خلل تنسج البشرة.

حالة نادرة تنتج عن طفرة جينية تتحول لمرض جلدي يؤدي لبقع متقشرة ونتوئات وقطع جلد زائدة تشبه لحاء جذوع الأشجار.

أشهر أمثلتها الصياد ديدي كوسوار عاش في القرن العشرين وهو صياد إندونيسي يقيم في إحدى القرى في جنوب جاكارتا، توفي عن عمر ثلاثة وأربعين عاما.

٥- توراجا.

هي قرية في إندونيسا تضم مجموعة عرقية من السكان الأصليين للمنطقة الجبلية في جنوب سولاويزي بإندونيسيا. تقوم قبيلة توراجا بإخراج الموتى من قبورهم في شهر أغسطس من كل عام ضمن طقس احتفالي يسمي ماينين.

٦- قبائل بابوا غينيا.

قبيلة تعيش على طول النهر في غرب غينيا الجديدة وهم يأكلون لحوم البشر في الطقوس الجنائزية لتكريم متوفاهم من الذكور.

لعصور طويلة، ظل لغز آلة الـ**«أنتيكيثيرا» Antikythera Mechanism** قائما

قال بعض العلماء انها تعتبر أقدم حاسوب تناظري في التاريخ يعود صنعها إلى القرن الاول قبل الميلاد. وكان غواصين يونانيين قد عثروا على "آلة انتيكيثيرا"

في حطام سفينة قديمة عام ١٩٠١ ميلادي قرب جزيرة تحمل الاسم ذاته. من المعتقد أن سفينة الغلال التجارية التي كانت تحمل الآلة غرقت بين عامي ٨٥ و٦٠ قبل الميلاد. وتوحي النتائج أن الآلة ربما كانت قديمة وقت غرق السفينة، والانتيكيثيرا عبارة عن الية ميكانيكية مصنوعة من البرونز الخالص ومعقدة جدا وتتكون من أكثر من ثلاثين ترسا برونزيا مدمجا في تناغم عجيب وأقراص عرض تسبق زمنيا نظيراتها المعروفة لدينا بما يزيد على ألف عام. وتحيط جدارها نقوش كتابية لم يتوصل احد من العلماء الى فك شفرتها او معرفه لغتها حتى الان. أثارت هذه الآلة جدالا طويلا بين علماء الآثار والمؤرخين حول مكان صنعها، ومن صنعها. وبالنظر لمستوى التعقيد الذي تتسم به، يعتقد بعض الخبراء أنها لا بد قد خضعت لتأثير واحد على الأقل من مجموعة محدودة من أساطين اليونان في علم الفلك، وهم: أرخميدس وهيبارخوس أو بوسيدونيوس.

كما ثار جدال حول الهدف من الآلة أيضا، حيث وصفها البعض بأنها آلة لتوقع حركتي كسوف الشمس وخسوف القمر، بينما افترض آخرون أنها نظام لوضع توقعات فلكية، ورأى فريق ثالث أنها قد تكون أداة لتدريس علم الفلك.

وفـي ٢٠٠٨ مـيلادي وبمسـاعدة التصـوير المقطعـي اسـتطاع العلمـاء محاكاة آلية عملها بالكامل.

وتبين من الأبحاث والدراسات أن "آلة انتيكيثيرا" قد تعمل كرزنامة ميكانيكية، إذ تملك قدرة على قياس مراحل القمر والشمس والنجوم، فضلاً عن أوقات حدوث الكسوف والخسوف. وحساب مواعيد الدورات الاوليمبية. ويحتوي على أداة لحساب المسافات، وكذلك قياس سرعة حركة الأجرام السماوية، فضلا أنها تعطي معلومات حول التحولات الجوية لمدة ١٠ سنوات مستقبلية.

قال العلماء ان عدد العمليات التي يقوم بأدائها هذا الجهاز تبلغ أكثر من ١٠٠٠ عملية أو إشارة كتابية، أما عدد دوائر المسننات في الجهاز يفوق نحو ٣٧ دائرة.

- **وفي تقييم اخر**

نجح تحليل جديد لقرص العرض الخاص بتوقع حركتي الكسوف والخسوف، الموجود على ظهر الآلة، في طرح حل جديد قد يسهم في حل واحد من أكثر ألغاز التاريخ تعقيدا، حيث يقترح كل من د. كريستيان سي. كارمان، المؤرخ العلمي بالجامعة الوطنية في كويلمز بالأرجنتين، وجيمس إيفانز، العالم الفيزيائي بجامعة بوجيت ساوند في واشنطن، أن تقويم الآلة الغامضة بدأ عام ٢٠٥ قبل الميلاد، بعد وفاة أرخميدس بـ ٧سنوات فقط.

ويعتقد العالمان أن الاحتمال الأكبر أن الآلة كانت محفوظة بالأساس داخل صندوق خشبي وكانت تعمل بذراع تدوير خشبية.

الملاحظ أن الآلة ذاتها تحمل نقوشا من الأمام والخلف. وفي سبعينات القرن الماضي، جرى تقييم تاريخ هذه النقوش بعام ٨٧ قبل الميلاد، لكن أخيرا قدر علماء عكفوا على تفحص صور الحروف اليونانية المستخدمة في النقوش تاريخ صنع الآلة بالفترة ما بين ١٥٠ و ١٠٠قبل الميلاد.

وفي مقال نشرته دورية «أرشيف تاريخ العلوم الدقيقة» لشهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي، اتبع د. كارمان ود. إيفانز مسارا مختلفا، حيث شرحا في البداية ملامح التوافق بين أنماط حركتي الكسوف والخسوف بالآلة والسجلات البابلية المتعلقة بالظاهرة ذاتها، وخلص العالمان إلى أن نقطة البداية الزمنية لتقويم آلة الـ«أنتيكيثيرا» تسبق التاريخ الذي سبق اعتقاده بـ ٥٠عاما.

ويشير العالمان إلى أن هذه النتيجة تدعم فكرة أن استراتيجية التوقع بالكسوف والخسوف داخل الآلة لا تعتمد على علم حساب المثلثات اليوناني، الذي لم يكن قد ظهر بعد في ذلك الوقت، وإنما على أساليب حسابية بابلية استعان بها اليونان لاحقا. وقال إدموندز، الذي عمل على المشروع لنحو ١٢ عامًا، إن اعادة بناء الالة، ألقى الضوء على أمر مثير للاهتمام، ألا وهو «لون الكسوف القادم». وذكر إدموندز، خلال عرض علمي له، في العاصمة اليونانية أثينا: «نحن لسنا متأكدين تمامًا من كيفية تفسير هذا، لكي نكون منصفين، ولكن يمكن لهذا الأمر أن يعيدنا إلى الوراء، إلى اقتراحات سابقة، تشير إلى أن لون الكسوف كان نوعًا من نذير أو إشارة، فبعض الألوان قد تحمل إشارات، تدل على مستقبل أفضل، على عكس الألوان الأخرى».

وإن كان تفسيرنا لهذا الأمر صحيحًا: «فإن هذا هو المثال الأول لدينا، فيما يتعلق بآلية أي ذكر حقيقي لعلم استطلاع النجوم «علم التنجيم ومن غير الواضح ما الذي حدث لهذه التكنولوجيا، ليجعلها تندثر، فتعقيدها الميكانيكي لم يظهر له أي مثيل، إلا بعد مرور ألف عام على الأقل، وذلك حتى ظهور ساعات القرون الوسطى، في الكاتدرائيات الأوروبية.

وما تزال تعكف مجموعة كبيرة من العلماء المهتمين بحضارة اليونان وعلماء الآثار والفلك ومؤرخين على محاولة حل لغز الـ«أنتيكيثيرا». الغامض

جميع حقوق النشر محفوظة. ولا يحق لأي شخص
أو مؤسسه أو جهة إعاده إصدار هذا الكتاب. أو جزء منه .
أو نقله بأي شكل من الأشكال او تدواله الكترونيا نسخا
او تخزينا دون إذن خطي من الدار